FROM SCRATCH

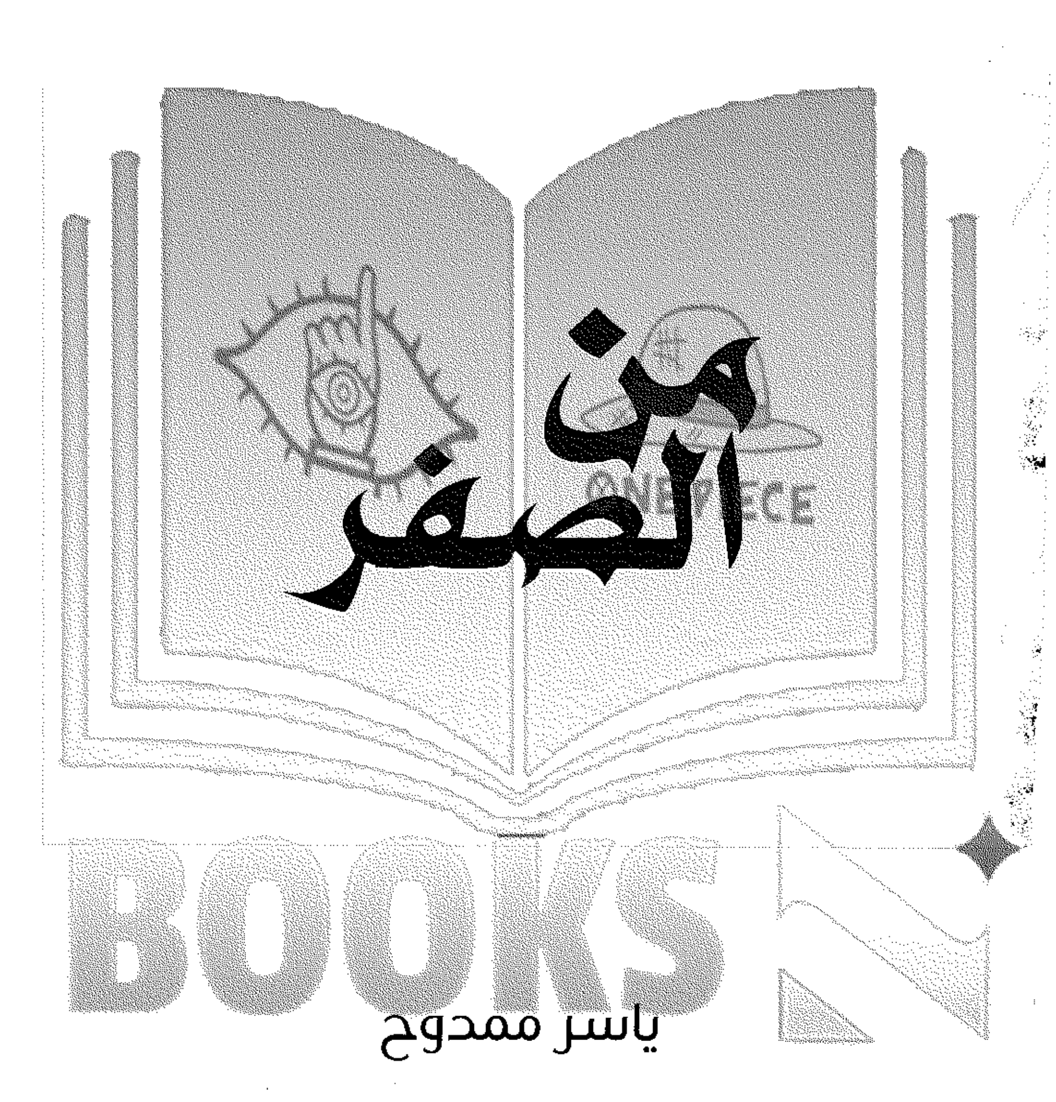
من الصفر

0 ⟵ ∞

لماذا أنا موجود؟
الخروج من السالب
نظرية التطور
لماذا العبادة
لماذا الظلم إذاً
كيف أفهم القرآن
استراحة لالتقاط الأنفاس
الحكمة من خلق النار
ماذا بعد الصلاة
ما بعد الصفر
مكانة المرأة و أمر الحجاب

ياسر ممدوح




من الصفر
BOOKS
ياسر ممدوح

المقدمة

الحمد لله العلي القدير، الذي أنعم على عبده الفقير دائم العصيان والتقصير، بأن من عليَّ بهذا الخير الكثير.
فما كان لمثلي أن يُسمع، أو يكون له كتابٌ يُرفع،
لكن فضله عليَّ أجزل وأوسع.
وأصلي وأسلم على النبي المُشفَّع، حبيبي محمد.. الذي بذكره العين تدمع، وعلى أصحابه وآل بيتِه وأسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛

فهذا أول ما أكتب وأول ما فكرت به، وما جال بخاطري منذ أن بدأت التفكر في حالي ومآلي
ولهذا أسميته **مِن الصِّفْر**
فقد كانت الشكوك تراودني كلَّ ليلةٍ.. شكوك في الخلق وفي الوجود.



شكوك في ظلم الدنيا، وفائدة العبادة، والبعث والجزاء.
حتى بَدَأْتُ قصة التعرف على الحقائق التي أزالت تلك الغِشاوة.
حقيقة تلو الأخرى تنزع عني ما أنا فيه من التردد والتخبط،
فأسميتها **(الحقائق الصِفْرِيَّة)**، أي: التي لا جِدال فيها.
ثم جمعتها في هذا الكتاب على وَجَلٍ مخافة أن أَضل أو أُضِل.

فما كان فيه من الصواب فهو بفضل الله ورحمته،
وما كان فيه من خطأ فهو من جهلي وسهوي.
فإن كنتَ مثلي تبحث عن البداية التي تمكنك من خوض تجربة الحياة بشيء من الثبات، فاسمح لي أن أخبرك من الصفر **كيف بدأت القصة..**

ياسر ممدوح

مِنَ الصِّفْر

الفصل الأول

لماذا أنا موجود؟!

لماذا أنا موجود

هكذا بدأت القصة..

لماذا أنا هنا بالأساس؟

وهل أنا فعلًا مخلوق من صنع الخالق أم نتاج الصدفة؟

مهلًا لحظة..

في الحقيقة لم تكن تلك هي بداية ما سأقصه عليك، فهذه التساؤلات لم تكن تخطر ببالي أصلًا.

بل بدأت تراودني بعد أحداث كثيرة، فإن جاز أن أطلق على مثل هذه الأسئلة والبحث في إجابتها كلمة

(من الصفر)

فيعتريني الآن شغفٌ عجيبٌ أن أحكي لك من تحت الصفر.. من السالب كما يقولون، منطقة السالب تلك التي يعرفها بعضنا جيدًا بل ولا يطيق العيش خارجها، سأصفها لك..

هي تلك المنطقة التي صنعت فيها فقاعتي الخاصة، فلا أنشغل إلا بما يؤثر عليَّ بشكل لحظي مباشر، أعيش فيها مرتاح البال ما دام طعامي على مائدتي وسريري ينتظرني كل ليلة وصديقي يُرَوِّحُ عني.

لماذا عليَّ أن أفكر في شيء آخر؟!

أنظر بشفقة لمن يتساءل: هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر؟

هل الأرض كروية أم مسطحة؟

كيف بدأ الخلق؟

لماذا نحن هنا؟

لماذا الظلم؟



أنظر إليهم وأتساءل: هل زاد ذلك في رغيفي شيئًا أو نقص منه؟ مالي ومال الخلق والناس! خلقنا خالق أو جِئنَا بِصُدفة.. تكورت الأرض أو تسطحت.. لا يهمني ذلك ما دامت مساحة سريري ثابتة وأرض منزلي صلبة جامدة.

لا يكدر صفو أيامي شيء.. سعيد بحالي لا أُبالي إن كنت على صواب أو على خطأ.. فماذا حدث لمن اهتموا بأن يجدوا الصواب؟؟ أراهم من بعيد يقتتلون مُدّعين أنهم على صواب ولهذا يقتتلون.. ما أعجب هذا الصواب! يَدَّعون العُمقَ والتفكير والرقي، ثم يُفتِكون ببعضِهم البعض كما تفتك حيوانات الغابة الباردة ببعضها!

في منطقة السالب كان أكثر ما يُثير سُخريتي وضحكي حين يأتيني أحدهم ليستقطبني لفئة دينية أو لفكر مُعين أو طريقة أو نظام، مُدَّعيًا أنه خائف عليَّ حريصٌ على مصلحتي.

لا أرجوك.. بالله عليك لا تنشغل بي.. وانظر لنفسك.. أفسدتم كلَّ شيء في العالم.. هل جاء الدور على مصلحتي الآن لتفسدوها؟.

دعوني وحالي فأنا غير مهتم إطلاقًا بهذه الصراعات.

أنا كائن بسيط يعيش لمدة بسيطة أتمنى فقط أن أعيشها بهناء.. أعرف أن هذا يَقُضُ مضاجعكم لكن لا بأس تحملوا قليلًا، فنحن نتشارك الأرض لمدة زمنية ستنقضي أيًا كانت، ثم يعود كلٌّ منا إلى باطن الأرض من حيث أتى.

في تلك الفقاعة كانت مسألة العودة إلى باطن الأرض هي ما يقلقني خصوصًا أني لا أعرف أي شيء عن تلك اللحظة، كنت أحاول دائمًا أن أدفع عني هذه الفكرة كلما خطرت ببالي، وغالبًا ما كنت أنجح بذلك.

كان من السهل أن أنشغل عنها بالجلوس مع أصدقائي غير المهتمين مثلي أو بتحضير وجبتي المفضلة.

قضيت في منطقة السالب فترة لا أسير فيها لأي اتجاه، فقط دوائر مغلقة وأيام تتكرر وعُمر ينقضي.

إلى أن حدثت مشكلة كانت بسيطة، لكني ظُلِمت.. تطاول عليَّ أحدهم، لم أكن معتادًا على ذلك، أهانني وحقرني.

الآن كدر صفوي شيء غير رغيفي وسريري، استطاع أحدهم أن يثقب فقاعتي، ولم أكن لأستطيع رفع ظلمه عني بمفردي، فاستعنت بمن حولي لأجد المفاجأة..

نحن غير مهتمين.. لماذا تريدنا أن ننخرط في أمور لا علاقة ولا طاقة لنا بها؟! نحن سعداء لا نبالي بهذه الأمور التي تخصك.. سامحه إن شئت أو دعك منه.

غضبت وحاك ذلك في صدري، رغم أن هذا بالضبط ما كنت أفعله مع غيري، فهمت أني كنت على خطأ؛ فهذا المكان ليس ليبني كل واحد منا كهفًا يعيش فيه، بل لنتشاركه سويًا حتى ننجو، فكيف أشارك من لا أفهمه ولا يفهمني؟!

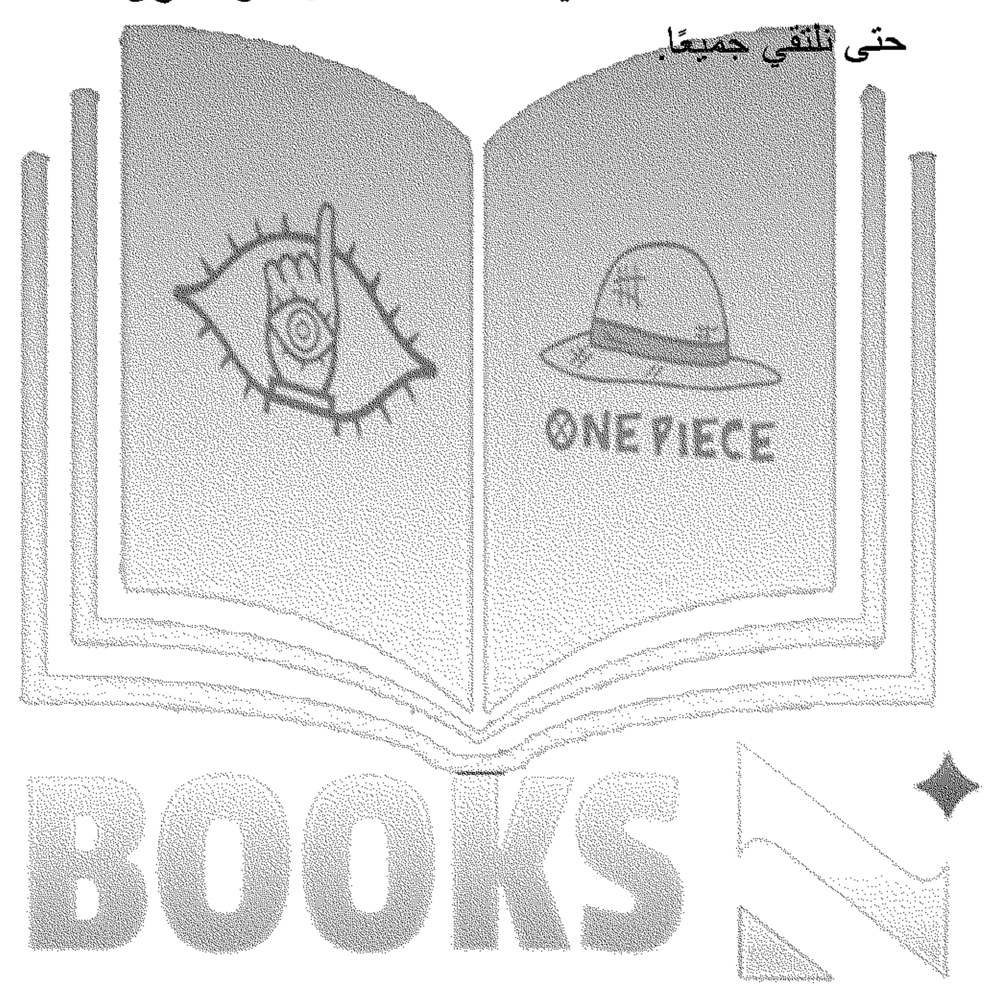
تكررت المشاكل وتسارعت الأحداث.. انفجرت فقاعتي وأغرقتني.. الآن لا مفر من مواجهة العالم.

أصبحت أيضًا فكرة العودة إلى باطن الأرض لا تذهب عن خاطري، لم يعد يصرفها عني صديق يعيش بفقاعة كفقاعتي التي انفجرت.

لا بد أن أترك السالب الذي أعيش فيه حتى أصل إلى الصفر إلى سطح الأرض، ثم أرقى بعد ذلك ما استطعت؛ حتى إذا ما جاءت نهايتي وعدت إلى باطن الأرض وإلى الصفر كان ذلك ملعبي المفضل وموطن قوتي.

أريد أن أصحبك معي الآن وأنا أخرج من السالب حتى نصل لأرض صلبة نقف عليها، ثم أخبرك عن اتجاه يأخذك نحو الأعلى، ولكن يحزنني أنا أخبرك أني لن أذهب معك للأعلى فسنفترق وسينتهي هذا الكتاب عند الصفر، ولكن عدني أن تكمل الطريق حين أتركك.

ولا تقلق عليَّ أنا أيضًا سأفتقدك كثيرًا، لكني عائد للسالب مرة أخرى لأجلب الآخرين إلى الصفر، ثم أتركهم على الأرض التي تركتك فيها وأعود مرة أخرى حتى نلتقي جميعًا.



الفصل الثاني

الخروج من السالب

ONE PIECE

BOOKS



الخروج من السالب

هل قررت أن تفكر معي كيف نخرج من السالب؟

فهناك من حاول الخروج قبلنا لكنه هَلك، فبدلًا من أن يذهب إلى الصفر سار في الاتجاه المعاكس وابتعد أكثر.

فالخروج يعني أن نجد الاتجاه الصحيح أولًا، ثم نبدأ السير فيه، ولكي نجد الاتجاه الموصل للصفر سنعتمد على بعض النقاط الأساسية التي إن ترسخت بداخلنا رأينا الاتجاه المناسب، وإن اختلطت علينا هذه النقاط فستكون نهايتنا في تلك الدوائر المغلقة.

النقطة الأولى

أن تؤمن معي بضرورة الخروج من السالب وعدم الركون فيه، فهو لعنة تملكت من صاحبه. كرهته وكرهت فراغه، ومهما قابلنا من صعاب في طريق الخروج فلن نتوقف.

فإن انطلقت معي فأعدك ألا أتوقف مهما حدث، فهل تعدني بذلك؟

النقطة الثانية

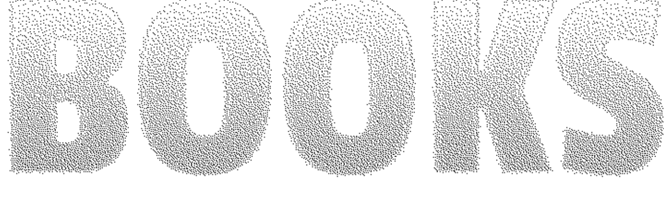
إن انطلقت معي فعليك أن تتجرد، واستبدل الهزل بالجد.

واعلم أن حال الدنيا صعب، وأن الأمر جلل، ولولا الحق ما كان العيش يُحتَمل.

النقطة الثالثة

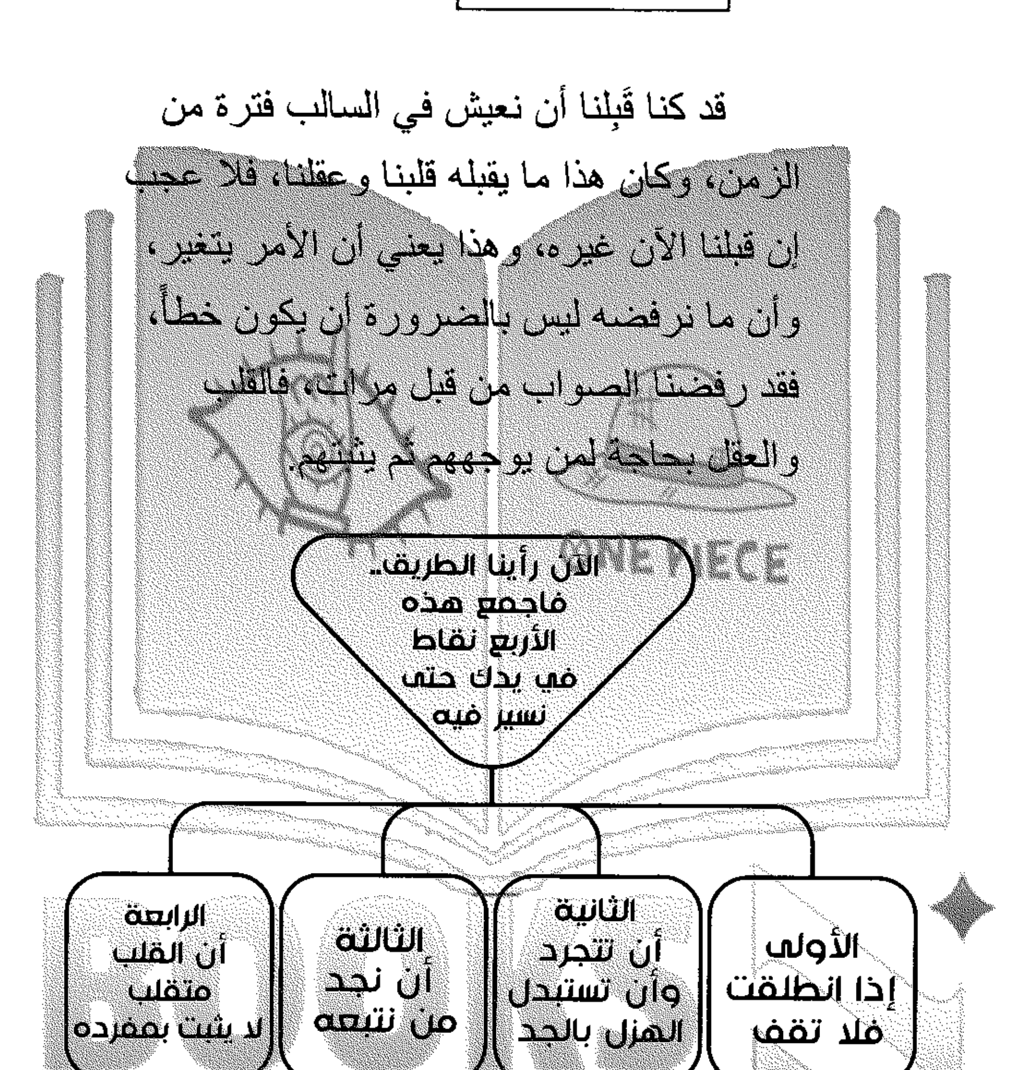
نعم سنسير باتجاه البحث عن الحقيقة، لكننا لن نخترع الذرة، أنا وأنت نعيش في الألفية الثالثة، وليس فينا نبي مرسل ولا سقط على أحدنا تفاحة، بل نحن محصلة آلاف من السنين والحضارات والصراعات، تشكلنا بناءً على هذا التاريخ، وكل أفكارنا ناتجة عنه، وكل ما يجول بخاطرنا قد جال ببال الملايين ممن قبلنا.

وهذا يعني أننا - شئنا أو أبينا - تابعون لأفكار غيرنا ممن سبقونا، نقبل منها ما يتوافق مع عقلنا وقلبنا ونرفض غير ذلك، فالمهم أن نُحسن اختيار من نتبعه، أو نخترع الذرة فعلًا بالمعنى الحرفي.



النقطة الرابعة

قد كنا قَبِلنا أن نعيش في السالب فترة من الزمن، وكان هذا ما يقبله قلبنا وعقلنا، فلا عجب إن قبلنا الآن غيره، وهذا يعني أن الأمر يتغير، وأن ما نرفضه ليس بالضرورة أن يكون خطأً، فقد رفضنا الصواب من قبل مرات، فالقلب والعقل بحاجة لمن يوجههم ثم يثبتهم.



إن اتفقت معي على ذلك فدعنا الآن نضع خطة الوصول إلى الصفر.. سنبدأ بهذه المشاكل التي أخرجتنا أصلًا من الفقاعة لنعرف سببها. فما حدث لنا من ظلم فيها قد يحل مسألة وجودنا بالأساس.

هذه المسألة التي بانتهائها سنكون على مشارف الصفر. يتبقى فقط أن نتأكد إن كان لوجودنا هدف أم لا.. هذا الهدف الذي إن حددناه مكننا ذلك من البحث عن أحسن طريقة للوصول إليه.



الفصل الثالث

الاتجاه إلى الصفر..

ONE PIECE

BOOKS



الاتجاه إلى الصفر

يبدأ الاتجاه إلى الصفر بحل مشاكلي أولًا حتى يتسنى لي التجرد والسير في الطريق دون معوقات.

كانت مشاكلي تتلخص في الظلم الواقع عليَّ من غيري، هذا الذي لا يجد غضاضة في أن يأكل حقي مستمتعًا به مكررًا ذلك معي ومع غيري.



فإن كان الله خلقني حقًّا فلِمَ كل هذه الصعاب، التي يتعين علي الصبر عليها وتحملها لهدف ما لا أفهمه بعد؟! أم هل يعني ذلك أنه غير موجود أو عاجز -حاشاه سبحانه وتعالى- عن رفع هذا الظلم؟

هذا السؤال الذي انبرى عليه مئات الفلاسفة والمفكرين، وأُرسل بإجابته رسلٌ وأنبياء، وقامت عليه حروب وبلاءات.

فعندما كبرت؛ وكنت أتعرض للعديد من المشاكل، قيل لي: إن الله سيرد إليك حقك، حتى لو لم يرده في الدنيا فحتمًا سيرده في الآخرة.

لكن لما حدثني أحدهم قائلًا: إن الله غير موجود.

تعجبتُ وقلتُ: هل هذا ممكن؟! أموت ولا أجد أي شيء مما كنت أنتظره، ولا توجد جنة ولا نار ولا حساب ولا يُرَد لي حقي؟!

لكن القرآن وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقولان بأن الله موجود!

قال لي: لا لا، كل ذلك من أوهام عقلك، وأنت تصدقها لأنك وُلدتَ مسلمًا، إنما يستحيل أن تثبت بالعقل والمنطق لشخص غير مسلم أن الله موجود.

الآن أعرته انتباهي.. ما دام الحديث بالعقل والمنطق فأنا معك، وستكون هذه المسألة هي بداية حقيقية للوصول إلى الصفر، وسيترتب عليها كل ما بعد ذلك.

الآن أخبرني.. إن كان الله غير موجود، فما الذي يمنعني من أن أسرق أي شيء إن لم يراني أحدٌ؟! تمامًا كهذا الذي يأكل حقي.

بالتأكيد في مرة ما سوف يمسكون بي وأدخل السجن.

لكن إن وصلت لدرجة كبيرة من الاحتراف كتاجر كبير للمخدرات أو زعيم للعصابات، وتجارتي جعلتني مليونيرًا، بغض النظر عن أنها كانت سببًا في موت الكثير من الناس سواء قتلوا بعضهم بسلاحي أو تعاطى أحدهم جرعة كبيرة من المخدر فمات، وبالنسبة للقانون فيسرني أن أخبرك أن القانون ورجاله في جيبي.

فأريد سببًا واحدًا منطقيًّا يجعلني أتوقف عن ما أفعله.. أمرض فأتعالج في أحدث المشافي، أنا وأصدقائي زعماء العصابات حياتنا في قمة الرفاهية، وعندما نموت نموت في سريرنا بشكل طبيعي جدًا، بل ويمكن بالقليل من مالنا أن يصنعوا لنا تمثالًا ويجعلونا أبطالًا ويحكون عنا قصصًا بعد موتنا.

فبمنطقك لا يوجد أي شيء سيضرني.

الرجل الذي قتل آلافًا بقنبلة لمجرد أنه شعر أن الدنيا مزدحمة قليلًا، لا يوجد أي شيء سيضره!

اغتصب أحدهم مائة امرأة وبعدها عاقبه القانون بالقتل، بمعنى أنه مات مثله مثل الذي أُلقيت عليهم القنبلة وربما أحسن منهم!

فإن كان كل هؤلاء عاشوا فترة وماتوا واختفوا وانتهى الأمر! فالحياة بهذا الشكل غير عادلة، وهذه ليست مشكلة في حد ذاتها، فقط يتوجب على لكي أواجه هذا العالم أن أجد لنفسي مكانًا في هذه الغابة، فأحاول جمع أكبر قدر من المال في أقصر وقت ممكن بأي طريقة، وبالتأكيد سأقتل عدة أشخاص لأنهم سيحاولون قتلي ليأخذوا مالي، والبقاء للأقوى.

ولهذا فلتأييد ذلك القول بأن هذا الكون ليس له إله ولا وجود لبعث ولا حساب، فتعين عليَّ أن أقبل بهذا النموذج من الحياة الدموية التي لا ضمير فيها ولا خير ولا شر، أو أن أبحث عن معنى آخر للخير والشر لا يرتبط بالإله من الأساس أو البعث والحساب.

وهو أيضًا ما انبرى عليه مئات الفلاسفة والمفكرين الملحدين لعقود طويلة، باحثين عن تعريف للخير والشر في ظل نظرتهم الإلحادية لنشأة هذا الكون.

وبين العديد من الكتب والآراء لهؤلاء الفلاسفة الذين يعدون من الجهابذة على مر العصور لم أجد تعريفًا منطقيًّا واحدًا للخير والشر تتجاوز نسبة ذكاء قائله نسبة ذكاء الأرنب فور ولادته، إلا تعريفًا واحدًا أقنعني في البداية، لكن ما لبثت الأيام إلا وأن دمرته أمامي..

لما قال أحد الفلاسفة في تعريفه للخير: إنه ذلك الفعل الذي يعود بالنفع على الطرفين الفاعل والمفعول به في نفس الوقت.

وبناءً عليه ظهر دين الإنسانية، فليس هناك إله أو ثواب أو عقاب، ولكن نحن نعرف الخير والشر جيدًا، نفعل الخير لنكون أفضل لأننا بطبيعتنا البشرية نبحث عن الأفضل.

أعجبني القول للغاية حتى ظننت أنه الصواب فهو مقنع منطقي لطيف، لكن أحداث القصة جاءت عكس ما أتمنى.

فتاجر المخدرات ينتفع من تجارته هو ومتعاطيها الذي يجد فيها سعادته، لكنه قد يموت لاحقًا بسبب هذا الفعل وينهار المجتمع بسببهما.. فالآن انتفع الطرفان لكن المجتمع انهار وكلنا نعلم يقينا أنه فعل مشين نعلم ذلك بفطرتنا التي فطرنا الله عليها.

فإن كنت تخبرني أنه لا وجود لخالق ولا لفطرته فأريد أن أعرف كيف يكون هذا الفعل صوابا في نظرك ؟

نامت الفتاة مع عشيقها فانتفع الطرفان، ثم نامت مع غيره وانتفع الطرفان أيضًا، ثم أصيبت بالإيدز نتيجةً لذلك؛ لجهلها بالضرر الناتج عن الفعل الذي انتفع فيه الطرفان، ثم تحول لكارثة.. فهذا ليس خيرًا أبدًا.

ثم هيا بنا نتلاعب بمفهوم الخير ذاته، فهذه الفتاة حملت من الزنا وأجهضت الجنين وقتلته وهو في الشهر الرابع، وهذا بالنسبة لي جُرم عظيم، من أعطاكِ الحق في قتل نفس بشرية لمجرد أنه بداخلك؟!

الآن فهمت.. تريدون طمس الفطرة و إنكار خالقها حتى يصبح الخير عندكم هو ما انتفع فيه الطرفان اللذان اتفقا أن هذا هو الخير.

هل تظنونني حقًّا بهذه السذاجة؟!!

تريدونني أن أترك ما أنا قادر على فعله بكم في نموذج الحياة الدموي الذي لا خير فيه ولا شر، لأفعل ما ترونه أنتم خيرًا، ولا أفعل ما ترونه أنتم شرًّا، ثم نختفي سويًا؟!

من أعطاكم هذا الحق حتى تستعبدوا الناس؟؟

وكل هذا لماذا؟؟

حتى لا نعترف أن لنا خالقًا حدد الخير والشر لنا جميعًا!

لا لا.. كنت أود أن أناقش هذا الفكر لكنه سطحي للغاية، فكما ترى هذا الذي يتعامل بإنسانية ليس له جائزة، والذي يتعامل من غيرها ليس له عقاب، فلماذا أختار الإنسانية الآن؟ خصوصًا أنه كما ترى الذي لم يختارها حاله على ما يرام وأفضل بكثير من حال المسكين الآخر.

ثم إن إنسانيتك غير إنسانيتي، فأنا أرى أن الكذب نباهة وسرعة بديهة، والصدق بلاهة مطلقة، والسرقة مهارة وذكاء، والأمانة خوف وضعف، والقتل قوة، والاغتصاب مُتعة.

وسواء كنت مقتنعًا بذلك أم لا فأنت حر، لكن لا أحد منا أحسن من الآخر، وكلنا سنختفي.

الآن اتضحت لي الرؤية بعض الشيء.. فجميعنا نعلم أن هناك الصواب والخطأ، ولم نكن لنعرف الصواب والخطأ لو كان الله غير موجود؛ لأن المنطق الوحيد لوجود الصواب والخطأ والخير والشر في الدنيا هو وجود إله وثواب وعقاب في الآخرة.

وهذه أول حقيقة صفرية لا جِدال فيها بالنسبة لي أن الله خلق هذا الكون وخلقني.

ويستحيل بالعقل والمنطق إثبات أو إيجاد أي معنى لكلمة صواب وخطأ أو فعل الخير والشر بدون وجود إله.

فبالعقل والمنطق الصواب سيكون صوابًا فقط لو كانت له جائزة، والخطأ سيكون خطأً فقط لو كان عليه عقاب. وهذا يعني أن وجود إله هو فقط ما يجعل الخير خيرا في نفسه و الشر شرا في نفسه ...

ثم ما لبثت أركان الحقيقة الأولى إلا وأن اكتملت بالنسبة لي وأصبحت راسخة بداخلي، بعدما استمعت لتفسير نشأة الكون عند أصحاب نظرية عدم وجود الخالق وما أسموه بـ «نظرية التطور».

وهو حقًّا ما استغرق من وقتي ومن طاقتي كثيرًا؛ لأنك للوهلة الأولى تشعر أن من يتحدث أمامك يمتلك شيئًا من الحقيقة أو العلم، ثم لا تلبث إلا وتندهش من نوع المخدر الذي يتعاطاه ويظن أننا نتعاطاه أيضًا لنصدقه!

الفصل الرابع

نظرية التطور

ONE PIECE

BOOKS



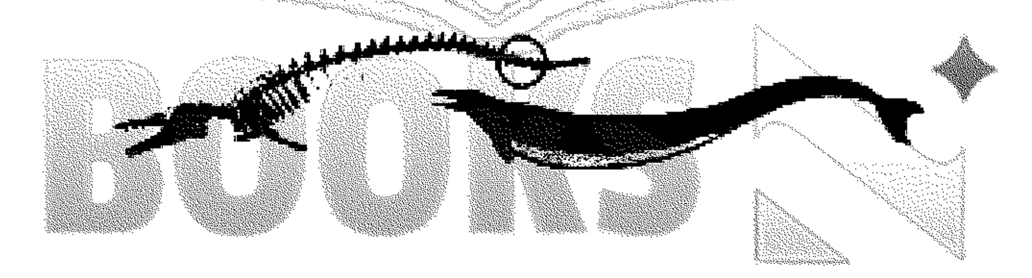


نظرية التطور

هي النظرية التي يعتمد قائلها على أنه لا يؤمن بأي شيء لا يراه ولا يختبره علميًا، ثم يطلب منك أن تؤمن بشيء لا تراه ولا يمكنك اختباره علميًا!

دربٌ من الجنون البَحْت.

انظر إلى هذا الحوت



هل رأيته جيدًا؟

هل ترى هذا الذَّنَب في أسفل سلسلته الفقرية؟

عظيم.

ثم انظر إلى هذا الحوت الذي كان يسبقه بملايين السنين

لقد كان ذلك الجزء أكبر بعض الشيء.

نعم، فماذا نستنتج من هذا أيها العبقري؟

سأخبرك ماذا نستنتج



ولكن بعد أن تنظر لهذا الهيكل العظمي لأحد الزواحف قبل مليارات السنين



انظر كم هو مشابه لهيكل الحوت، وقد كان هذا الجزء هو القدم فيما مضى، وفي الحوت اختفى تدريجيًا ليصبح الحوت الذي نعرفه الآن.

وهذا دليل على أن كل الكائنات كانت من أصل واحد.. انتهت النظرية.

مهلًا مهلًا.. هل تريدني أن أصفق الآن؟! عزيزي، هل حقًّا النظرية بتلك السطحية؟ لا بالله عليك أخبرني أن هناك تفاصيل أخرى تؤيد هذا الكلام.

فأنا أرى كائنين مختلفين تماماً ولا يوجد اي دليل علمي ان هذا نفس الكائن

فبدأ يخبرني عن أمثلة لحيوانات أخرى بنفس الطريقة:

هيكل مشابه لهيكل آخر في وقت آخر يعني أن هذا الحيوان كان هذا الحيوان فيما مضى، ولنكمل ما نريد أن نصل إليه أصلًا من هذه النظرية.. فسنتخيل أنه مع العودة أكثر في الزمن إلى الخلف كان هذا الحيوان

باكتيريا، ثم نعود أكثر بالزمن ونتخيل أن هذه الباكتيريا كانت كائنات أُحادية الخلية، ومع قفزة أخرى للخلف فلنتخيل أن تلك الخلية كانت في العدم ونتجت عن الصدفة، وهكذا نشأت الكائنات، وألف ألف مبروك أثبتنا أنه لا يوجد خالق!!

لما انفجرت ضاحكًا ظن أنني أسخر منه، ولكن أبدًا، فقد كنت أظن أنه يمازحني بالفعل، فقد طلب مني أن أتحدث بالعلم.. بالعلم وفقط، ثم ما لبث أن سرد كمًّا من الخرافات التي لا يوجد دليل علمي واحد على صحتها، مستعينًا ببعض الحفريات من فترات زمنية مختلفة -على حد قوله-، وسأخبركم لماذا أقول على حد قوله..

لأني دائمًا عندما أطرح عليهم سؤالًا لا أجد له إجابة عندهم!

هل منكم من يعرف كيف يقيس عمر الحفريات؟

يعني أعرف أنه هناك هيكل عظمي لديناصور عملاق في متحف مشهور في جنوب أفريقيا يُقال إنه موجود منذ مليارات السنين.

هل يعرف أحدكم كيف تم قياس تلك المليارات من السنين؟

ما هي الآلية المستخدمة في ذلك؟

لأنني بحثت كثيرًا على الإنترنت ووجدت أن هذا الأمر حوصر بتعتيم شديد إذ أن عملية القياس تلك يكاد لا يطلع عليها أحد، نحن نستمع فقط إلى النتيجة، لكنني لم أجد فيديو مصورًا واحدًا يشرح تلك العملية، رغم أن هذا الأمر قد يجعل الكثيرين يصدقونهم ولو بعض الشيء.

فلماذا لا تريني كيف عرفت عمر هذه الحفرية أو هذا الهيكل العظمي؟

ما الذي يجعلني أصدق من الأساس أن هذا الهيكل لكائن حي؟

أنا أصلًا مصمم جرافيك وهذا مجال عملي، أعطني طابعة ثلاثية الأبعاد وأصنع لك هيكلًا عظميًا لمخلوق فضائي لم تر مثله قط، وخذه هدية مني لك والعب به في متاحفك واخدع به عقول السطحيين من أمثالك.

ساد الصمت فترة، ثم أخبرني أحدهم أنهم يفعلون ذلك عن طريق الإشعاع الكربوني، ويستخدمون جهازًا دقيقًا يرسل الموجات، ثم ترتد إليه الإشعاعات الكربونية فيخبرك بعدد سنين هذا الجسم.

يا إلهي!!

هل جربت هذا الجهاز؟ هل رأيته من قبل؟

ألا يوجد مقطع واحد مصور لهذا الجهاز موجهًا لهيكل إنسان عادي فأعطاهم عمره مثلًا: سبعون سنة، ثم قاموا بتوجيهه لهيكل حفرية فأعطاهم عمره: تسعة مليارات سنة وستون عامًا ويومان وثلاثة أشهر؟

مقطع واحد فقط.. وهو لن يُثبت شيئًا بالأساس إلا فقط أن ما تقوله به جزء من الحقيقة أن هذا الهيكل لكائن حي، ولن يُثبت أكثر من ذلك.

كما قال الآخر ذات مرة: إننا نقيس عمر الحفرية بعمر طبقة الأرض التي وُجدتَ فيها.

وهذا ما يجعلني أعود لنفس السؤال: وكيف تم قياس عمر طبقة الأرض؟

ما الذي يمنع أن يكون هناك بركان ثائر في آخر ألف سنة سبب كثيرًا من الطبقات فوق هذا الهيكل العظمي، ثم ببعض الهزات الأرضية ذهب الهيكل العظمي لما هو أبعد من ذلك في باطن الأرض؟ فلا يقتضي ذلك بأي حال من الأحوال أن يكون هذا الهيكل من مليارات السنين!

بالطبع أعرف أن هناك علمًا لذلك، وأنا لا أنكر هذا العلم إطلاقًا، بل أحبه وأحب أن أتعمق فيه يومًا بعد يوم، وقد يكون هناك طرق علمية كثيرة صحيحة لقياس هذه الأمور.

ولكن ما أنقله لكم -وهو ما أنكره حقًّا وما يثير دهشتي- هو هذا الشخص الذي يتحدث في مثل هذه الأمور كأنها مُسلَّمات علمية وهو لا يعرف إجابة أي شيء عنها!

يقول لك: أنا لا أؤمن بالغيب.

وإذ به يؤمن بكم من الغيبيات التي لم يراها ولن يراها، ويجادل عنها دون أن يجربها أو يفهمها!

فبدا جليًا لي أنه يؤمن بها فقط لأنها وافقت هواه، وافقت هواه وفقط، لكن ليس عن تجربة علمية، أو لأنه لا يؤمن بالغيب كما يدعي، بل إيمانه بذلك الغيب الْمُختَرَع أشدّ من إيمان من آمن بالله الحق.

ولذلك كنت أقول لكم: إنه يتحدث عن فترات زمنية مختلفة لهياكل مختلفة -على حد قوله-، فأنا لم أختبر ولم أتأكد بأي شكل من الأشكال من هذا الكلام الْمُرسَل الذي يمكنني وبكل سهولة أن أخترع أشدَّ جنونًا منه وأكثر إبهارًا وبدون أي دليل.

ثم ما المشكلة أن يكون هناك تشابه بين هيكلين عظميين لكائنين مختلفين؟ ما الرابط العجيب الذي جعلهم لنفس الكائن وتطور؟!

ثم إن تكيف الكائنات مع البيئة المحيطة لا يعد تطورًا، بمعنى: عندما يكون منقار هذا العصفور ضعيفًا في بعض الأزمان، ثم مع مرور الوقت يزداد هذا المنقار صلابةً وطولًا نظرًا لتغير عوامل بيئية كثيرة، فهذا يُسمى (التكيف) وليس (التطور)، فالعصفور ما زال عصفورًا لكن تكيفت أعضاؤه الأصلية لتصلح لهذا الزمن المختلف، لم يصبح العصفور قردًا أو الزرافة فيلًا، لا في ملايين السنيين ولا في مليارات السنين ولا في أي رقم تستطيع نطقه.

عزيزي صاحب هذه النظرية اللولبية.. يسعدنا تشريفك لنا في أحد متاحفنا المصرية حتى تطلع بنفسك على المومياوات الخاصة بقدماء المصريين، والتي تعود لآلاف السنين، وأقول هذا الرقم من السنين مستندًا لكتابات تاريخية على جدران مقابرهم مذكور فيها أن هذا عاش في هذا الوقت من التاريخ.

تستطيع أن تطلع عليها بنفسك، ولست معتمدًا على جهاز سري.

طالع هذه المومياوات وتمعن فيها جيدًا،



فهي لبشر سبقوك بآلاف السنين، ستجدهم مثلك تمامًا لم يكن لأحدهم ذيل أو عين واحدة، بل إن هيكلهم العظمي يتطابق مع هيكلك بنسبة مائة بالمائة.

فلماذا تفترض -جهلًا- أنه كان هناك تغيير قبل ذلك؟ تغيير لم يره أحدٌ قط، هو فقط في خيالك العلمي!

فجأة تذكرت آية في القرآن الكريم اصطدمت بذهني، الآية تقول:

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦].

نعم، هذا جَلِيٌّ للغاية بالنسبة لي فهذا الذي أمامي فعلًا لا يخلو كلامه إما من الظن والتخمين والافتراضات الجدلية، وإما أنه يكذب وهو يعرف أنه يكذب.

حقًّا ستجعلني هذه الآية أرجع إلى القرآن فيما بعد؛ فقد راق لي هذا الوصف للغاية، أشعر أني سأجد في القرآن ضالتي، ولكن ليس عليَّ أن أتسرع الآن.

الآن فقط اكتملت بداخلي أول حقيقة صفرية: فإذا استحالت نشأة الكون والمخلوقات بالنسبة لي عن طريق تلك الخرافات؛ فلا بد أن لهذا الكون خالقًا عظيمًا صوَّره وأبدعه.

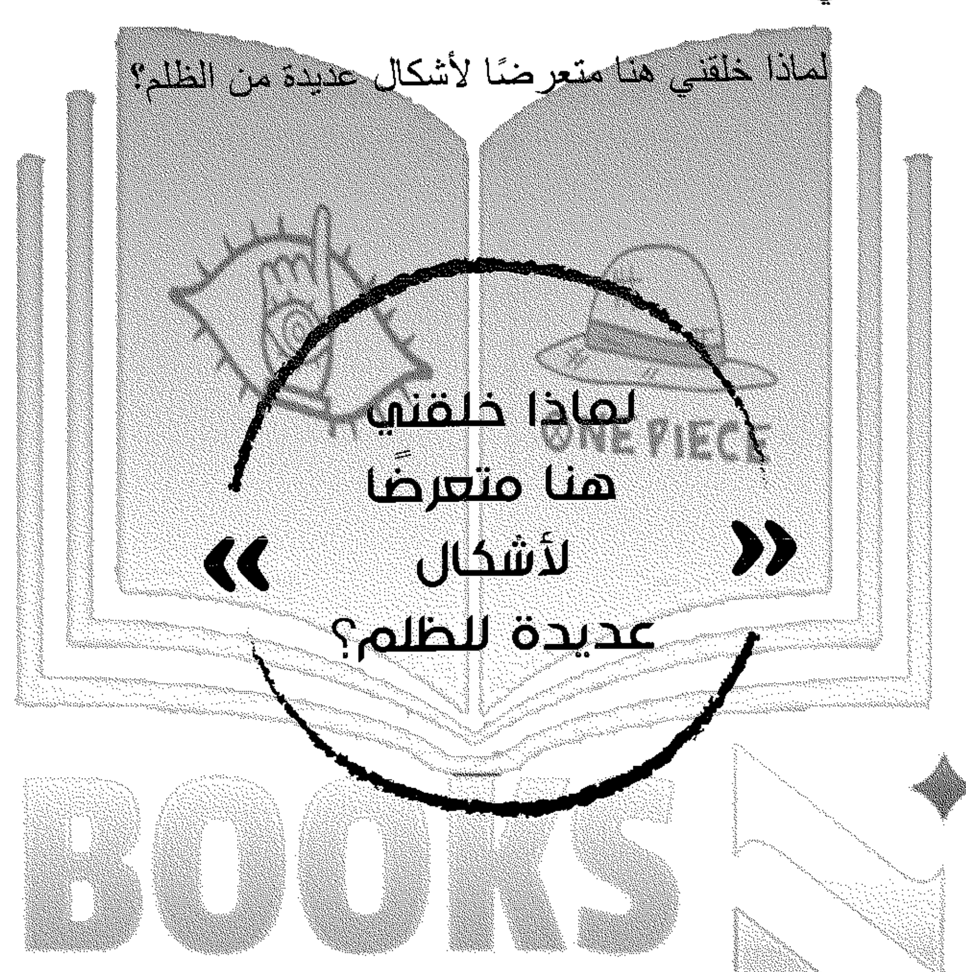
وقد ملأ الإيمان به قلبي فهو حقيقة لا جِدال فيها.

الآن تركنا السالب ووصلنا للصفر..



فنور خالقي الذي آمنت به سيمكنني أن أخطو خطوة جديدة في قصتي، وأنتقل إلى مرحلة أخرى محاولًا الوصول إليه، فبالتأكيد سأجد عنده الإجابة عن سؤالي:

لماذا خلقني هنا متعرضًا لأشكال عديدة من الظلم؟



الفصل الخامس

لماذا خلقني؟!







لماذا خلقني؟!

أعتقد أن إجابة هذا السؤال ستكون بدايتي الحقيقية لاستكمال الحقائق الصخرية التي ستكون أرضًا صلبة للغاية أقف عليها برسوخ ناظرًا منها لأعلى متجهًا إليه بكل قوتي، حتى إذا ما انقضى عمري وعدت لباطن الأرض تسلحت بتلك الحقائق التي بنيتها فيه.

هذا السؤال على قدر أهميته على قدر ما احتاج إلى كثير من البحث حتى أتأكد من مصدر الإجابة أولًا.

فالديانات لا حصر لها، وبكل ديانة فرق لا نهاية لعددها كل منهم يدعي أنه الفرقة الناجية، ومن دونهم هالكون لا محالة.

فبحسب اليهود.. إن انضممت إليهم فأنا من شعب الله المختار، وكل من هم سوانا في منزلة أخرى أسفل منا.

آخر من سمعت حديثه من اليهود كان زميلًا لصديقي في العمل يتبع طائفة منهم تؤمن بالله والأنبياء وبوجوب فعل الخير واجتناب الشر، ولكن لا وجود لبعث ولا حساب، أنت هنا فقط لتستمتع لبعض الوقت ثم تختفي تمامًا!

يريد أن يعود بي لنفس الدوامة القديمة، ولكن الحمد لله الآن لدي حقيقة لا تقبل الشك والجدال، ولن أضيع فيها مزيدًا من العمر.

ثم إن فسادهم في مشارق الأرض ومغاربها لا يخفى على عاقل: دعمهم لكل ما هو إباحي وشاذ، وفخرهم بذلك علانيةً.

وبقراءة بعض من مخططاتهم المكتوبة في القرن الماضي أصبحوا أبغض خلق الله إلى قلبي.

فكيف أتلقى إجابة سؤال مصيري في حياتي منهم؟!!

وجدت بعدهم فرقًا أخرى عديدة كالهندوس والبوذيين والسيخ و... ما هذا؟ ما كل هذه الفرق التي قد ينقضي عمري كله وأنا أبحث إن كانوا على صواب أو خطأ؟؟

حسنًا.. سأتبع منهجًا عمليًا في البحث بحيث أبدأ بأكثر الديانات أتباعًا، فإذا لم أجد فيهم خللًا وافقتهم وتعلمت منهم، وإذا وجدت خللًا سأنظر مباشرةً للديانة التالية الأقل في عدد الأتباع وهكذا.. حتى أصل لمبتغاي أو يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

أعلم أن هذا ليس أصح ما يكون؛ فلم تكن الكثرة بالنسبة لي يومًا دليلًا على الصواب، بل على العكس فإن أغلب الناس دائمًا في حياتي كانوا الأسوأ، وأقل القليل هم الجيدون.

لكن لتائه مثلي فلم يكن لدي أصح من ذلك.. إن كنت سأبدأ في دراسة الأديان فلأبدأ بالأكثر أتباعًا على مستوى العالم قبل أن أنظر في أمر من يعبدون الفئران لأفهم منطقهم.

بدا هذا منطقيًا ومُرضيًا أكثر بالنسبة لي. وبالطبع بدأت بالمسيحية فهي أكثر الرسالات السماوية أتباعًا في يومنا هذا.

لكن البداية كانت محبطة للغاية فقد كنت صغيرًا عندها ولا أعرف كيف أدرس المسيحية، وبالتأكيد أهلي سيمنعونني من الذهاب إلى الكنيسة، كيف يمكنني أن أشتري كتابهم المقدس وأتعلم منه؟ فأنا لا أملك ثمنه حتى وقد لا أفهمه، أحتاج لمن يشرحه لي كما كان هناك من يشرح لي القرآن ويبين لي معانيه وأحكامه وأنا صغير.

وبينما أنا على هذه الحالة إذ جاءتني هدية من السماء، جائزة من الإله الذي أؤمن به وأبحث عن طريق للوصول إليه، شعرت حقًّا أنه بجانبي ويرشدني للطريق الصحيح، فلم أكن أحلم بأكثر من ذلك حتى أتعلم المسيحية..

إحدى الكنائس المرموقة أعلنت عن قيامها بمسرحية مسجلة ومتاحة على اليوتيوب تشرح فيها أخطاء الإسلام ومبادئ المسيحية السمحة.. يا لسعدي! إنها حقًّا فرصتي.

فتحت لها قلبي وعقلي تمامًا، فلم تكن فقط مجرد فرصة بالنسبة لي لفهم مبادئ المسيحية السمحة، بل كانت أيضًا فرصة لاستبعاد الديانة الإسلامية من حساباتي، عصفورين بحجر واحد كما يقولون.

فهيا أكمل لكم القصة..

المسرحية تحكي عن شخص مسيحي قرر أن يترك دينه ويدخل الإسلام، وبمجرد أن دخل المسجد وجد الشيخ عبارة عن رجل بدين لا يكاد يرى أسفل قدميه من حجم بطنه، وحوله أربع نساء.

ورغم أني كنت صغيرًا لكني كنت أعرف أن هذا الأسلوب يعتمد على الاستخفاف بعقلي كمشاهد؛ أن تعتمد في تغيير مشاعري ناحية هذا الرجل على شكله المقزز وهيئته، فبهذا أنت لا تُخاطِب عقلي إما لأنك لا تملك عقلًا أو لأنك لا تملك برهانًا تعرضه؛ فتستعيض عن جهلك بلعبة المشاعر.

ورغم ذلك أكملت المشاهدة منتظرًا متلهفًا للمضمون الحقيقي رغم أني على دراية تامة أن شكل هذا الرجل الذي عرضوه ليس له أي علاقة بالإسلام، وأن الزواج من أربع نساء له حكمة منطقية جدًا. وضوابط وشروط -سنتطرق لها بالتفصيل لاحقًا-، وليس كما أظهروا هذا الراجل على أنه زير نساء.

فالمهم.. الولد سأل الشيخ وقال له: أنا أريد أن أتعلم القرآن.

فقال الشيخ: نعم طبعًا، تعالَ.

وبدأ يقرأ عليه سورة العاديات بطريقة مُهينة جدًا ومضحكة جدًا جدًا.

فقال الولد: لكني لم أفهم شيئًا!

فقال له: يا ولدي، ألم تدرك البلاغة؟ ألم تسمع السجع؟

وبدأ يشرح له أن المسلمين يقرأون القرآن للاستمتاع بالنغم والألحان في القراءة، وأنهم لا يفقهون من هذا الكتاب شيئًا.

كنت أشاهد المسرحية وأنا أعلم معنى كل كلمة في سورة العاديات، وكلمة الأستاذ الذي كان يحفظني في المدرسة لم تُفارق أذني عندما كان يقول لي:

إن الأهم من الحفظ والقراءة هو الفهم والتطبيق.

مثل هذه المسرحية من تلك الجهة في ذلك التوقيت بالنسبة لي جعلتني أقول: لِمَ الكذب؟ إن كنت لا تجد خطأ في شيء فلا داعي للخداع، لم يُجبرك أحدٌ على اتباع الإسلام، ولم يُطلب منك أن تنتقده حتى!

فلماذا تتصدر لعمل مثل هذا وأنت لا تفقه فيه شيئًا؟! فتخرج أخطاء لا تنطلي على طفل صغير! من الذي سمح لكم بتشويه صورة المسيحية بهذا الشكل؟ فتصبحوا في نظر طفل مثلي مجموعة من المحتالين التافهين!

أعرف أن المسيحية منكم براء، فبالتأكيد هذه سقطة من قلة لا تمثل المسيحيين في العموم، ولن أقف في بحثي عليكم سأبحث عن تعلم المسيحية في مكان آخر.

مرت الأيام لكن رغم سذاجة المسرحية إلا أنها دلتني على طريق مباشر للبحث وهو الإنترنت، كنت أسترق الأوقات بعد المذاكرة والواجبات لأبحث على

الإنترنت عن المسيحية والمناظرات بين المسلمين والمسيحيين.

حتى وجدت ضالتي في مناظرة بين رجل يَدَّعي المسلمون أنه أفضلهم، ويُدعى الدكتور «ذاكر»، وآخر مسيحي يشهد المسيحيون أنه من أعلمهم، واسمه «ويليام كامبل» مؤلف كتاب اسمه (القرآن الكريم والكتاب المقدس في ضوء العلم الحديث)، -لست متأكدًا إن كان الاسم صحيحًا لكنه قريب من ذلك-.

دكتور «ويليام» كان رجلًا مشهورًا جدًا وله متابعون بالملايين، وكتابه وقتها أحدث ضجة كبيرة.

الرجل حتى يُخرج أخطاء في القرآن قضى أكثر من عشرين سنة يدرس اللغة العربية دراسة تجعلك تظن أن العرب أنفسهم لم يدرسوها! ولكي يفسر آيات القرآن ظل يبحث في معاجم قديمة جدًا، وبذل مجهودًا خرافيًا.

وبعد ذلك بدأ دراسة أخرى للتاريخ أخذت منه سنين، ليعرف إلى أين وصلت العلوم التي كانت منتشرة أيام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ ليثبت أن سيدنا محمد نقل منها القرآن، وأن القرآن ليس من عند الله.

وفي كتابه ذكر أسماء المدارس العلمية الموجودة على مستوى العالم في عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

هذا الرجل ألف كتابًا عملاقًا جدًا محدثًا ضجة غير طبيعية ليفسر القرآن في النهاية على هواه هو!

لكن ليس هذا ما لفت نظري؛ لأن كل شيء قاله رد عليه الدكتور «ذاكر» بكلمتين أو ثلاثة بمنتهى البساطة لأنه مشروح في كتب التفسير آلاف المرات.

ما لفت نظري بالفعل لما أتى دور الدكتور «ذاكر» ليسأل الدكتور «ويليام» في أكثر من عشرين نقطة في الكتاب المقدس الذي يؤمن به ويعتنق دينه، وكان رد الرجل وقتها وبمنتهى البساطة أنه لا يعلم الإجابة!!

نعم، والله قال له: أسئلتك هذه لا أملك لها إجابة.

كانت صدمتي حينها أكبر من قدرتي على الاستيعاب.. هل بإمكانك أن تتخيل؟! قضى هذا الرجل جل حياته باحثًا عن قصور في الإسلام ولم يقضِ ربع هذا الوقت في التعرف على دينه الذي يؤمن به أصلًا!

أهذا هو العالم لديهم؟! فلا عجب إذًا من أدائهم في المسرحية الهزلية.

اتضحت الرؤية كثيرًا بالنسبة لي فقد توافقوا حقًّا في طريقة التفكير والعرض، إن كنت تجهل ما أمامك وتجهل ما أنت عليه فشوِّه صورة من أمامك حتى لا تدافع عن نفسك.

سمعت بعدها لغير واحد من المبشرين فوجدت بينهم تناقضًا شديدًا في كل شيء، لا أقصد فقط اختلافهم كطوائف بل اختلافهم ككنائس؛ فلكل كنيسة منهج خاص منفصل لا يكاد يشبه غيرها، الكتاب المقدس نفسه له العديد من النسخ التي تتضارب أقوالها، وهم مُقِرون بذلك، ويتبع كلٌّ فريقٍ منهم كتابًا مختلفًا.

غير أن ما أبهرني حقًّا في تلك المناظرة هو هذا الرجل المسمى «ذاكر» الذي لم أكن أعرفه، حيث بدا لي عقليًّا منطقيًّا لا يستخف بعقلي، أَتْبَعَ منطقه بابتسامة واثقة وصبر طويل في الشرح والتوضيح مستندًا إلى علم غزير وذاكرة فولاذية، وهو مسلم أيضًا.

فقلت لنفسي:

كيف أكون مسلمًا ولا أعلم إن كان الإسلام صحيحًا أم لا؟!

والذي لا يعرف ألا يجب عليه أن يسأل ويستفسر؟!

كيف يعيش المسلم وهو لا يعرف دينه؟!

ومتى سيعرف؟! وما الذي يشغله عن أن يعرف؟!

تخيل شخصًا وُلد فوجد نفسه مسلمًا وعاش ومات وهو لا يعلم لماذا كان مسلمًا!

سمعت شخصًا يقول: ربما الله غير موجود.. فحاز من وقتي وعقلي وهاج وماج بتفكيري.

وسمعت شخصًا آخر يدعي أن الإسلام دين قتل ودماء.. فصدقته قائلًا: قد يكون، لا أعرف.

كنتُ أمضي وقتي مستمعًا لمئات المناظرات التي تشكك في الإسلام من كل جانب بكامل الاستعداد للتفكر في هذه الشبهات، لكن ليس لدي أدنى استعداد أن أتعلم الدين نفسه!

الآن وبعد استماعي للعديد من هذه المناظرات والدراسات تبين لي عوار وضعف شديد فيما يسمونه «المسيحية» حاليًا، والذي بدا جَلِيًّا لي أنها تختلف تمامًا عن تعاليم السيد المسيح عيسى -عليه السلام-؛ فهناك نصوص إباحية في الكتاب المقدس يخجل العاقل من ذكرها أمام أحد، وأفكار غير منطقية بالمرة كقتل الإله لابنه حتى يسامح البشر، كمن يريد أن يقنعك أن لك جارًا شريرًا يعتدي عليك، فأنت لتضع حدًّا لتلك الاعتداءات أعطيته أحد أبنائك ليقوم بقتله وأكله، فلما قتله وأكله سامحته فيما مضى من الاعتداءات، وصار

جارك المقرب بعد أن كان عدوًا لك!

حقيقةً أكره ما أكره في حياتي أن يستخف أحدهم بعقلي، فأنا لا أملك غيره هبة من خالقي تميزني عن باقي المخلوقات، فإذا ألغيته صرت لا أملك شيئًا، وسرت في الاتجاه المعاكس.. اتجاه السالب، وأنا بالكاد وصلت إلى الصفر، وأريد أن أتمكن من الارتفاع بعد ذلك.

كانت هذه هي اللحظة المناسبة من القصة لأبدأ البحث في الإسلام، فبطبيعة الحال هو الديانة الأكثر أتباعًا بعد المسيحية التي باستبعادها بعد فشلها في تحقيق أدنى درجات المنطق والعقل يصبح الدور عليه، مُتَّبِعًا في ذلك خطتي العملية في منهج البحث.

ولكن كيف أبدا في دراسة الإسلام فما أبعدني عنه اصلا كان كثرة فرقه و اختلاف علماءه!





ولكثرة فرقه واختلاف علمائه، بل وإعلان بعضهم كفر الآخر واستحلال بعضهم دم بعض، احترتُ: أيهم يمثل الإسلام؟ لا أعرف.

لحظة.. سأفعل كما فعل الدكتور «ويليام كامبل»، سأبدأ بالقرآن وأستخرج منه ولو خطأ واحد، وبهذا أستطيع استبعاد الإسلام بالكامل، فالقرآن هو الشيء الوحيد المشترك بين كافة المسلمين، ما يقرب من ملياري مسلم يزعمون أن هذا الكتاب هو كلام الله، وأنه محفوظ من عند الله لم يصبه تزوير ولا تغيير.

أهذا يعني أنه لا توجد نسخ مختلفة للقرآن؟

هل أَجْمَعَ حوالي ملياري شخص على نفس الكتاب دون تغيير لحرف واحد؟ سيوفر عليَّ هذا كثيرًا من الوقت، فقد كنت أنوي جمع النسخ المختلفة أولًا ثم أبدأ بعدها في الدراسة.

حتى إنني وصلت لإحدى النسخ المختلفة لدى بعض فرق الشيعة، لكنهم يعترفون بأنهم قاموا بتعديلها؛ لأنهم يعتقدون أن أصل القرآن قرأه سيدنا محمد تحت التهديد أو أنه كان مُكرَهًا على قوله؛ ولذلك تحتم عليهم تعديله لما يرونه مناسبًا، وهي فرقة لا تُذكر أصلًا بين الشيعة الذين يقرأون نفس القرآن الذي يقرأه أهل السنة دون أي تعديل أو تغيير، وهذا الذي أريده.

أعطوني هذا الكتاب الذي اتفق الجميع أنه نزل على محمد عليه الصلاة والسلام.

الآن سأبدأ، وسأُحضر كتابًا آخر سمعت عنه أيضًا سيعينني على استخراج الأخطاء بسهولة، كان اسمه (أربعون خطأً لُغويًّا في القرآن).

ما هذا العمل العظيم!

يبدو أن أحدهم قام بالفعل بما كنت أفكر فيه واختصر عليَّ مسافة كبيرة، ألم أقل من البداية إننا لن نخترع الذرة؟

نحن فقط تابعون لأفكار من قبلنا، ويبدو أن كاتب هذا الكتاب قد اختصر علينا الكثير من الجهد والوقت، فالقرآن بالفعل مليء بالأخطاء اللغوية الفادحة على حد قول الكتاب، والذي يبدو لي منطقيًّا للغاية في شرحه وطرحه.

على ماذا يفخر المسلمون إذًا؟! وهذا الدكتور المسمى «ذاكر» ألم ينتبه قط لفداحة الأخطاء؟! تحمست للغاية لما وجدته في أحد مقاطعه يسأله سائل.

بحثت عن الدكتور «ذاكر» مره أخرى حتى أتأكد من جهله بهذا الموضوع، وإذا به في أحد مقاطعه يسأله سائل عن هذا الكتاب، فأخبره الدكتور أن هذا الكتاب مردود عليه مئات المرات، بل إن هناك نسخة خاصة بالأزهر الشريف ترد على مثل هذه الكتب.

كتاب الأزهر وما به من علم أصيل يشرح أصول الكلام والدلالات النصية والزمنية بشكل فائق البراعة جعل صاحب كتاب (أربعون خطأً لُغويًّا في القرآن) يبدو كأحمق بالنسبة لي.

ولكن ظهرت لي حقيقة أخرى بقدر ما أرعبتني بقدر ما كانت مهمة للغاية بالنسبة لي؛ أن هذا الأحمق استطاع بالفعل أن يخدعني، هل لأنه أكثر ذكاءً مني، أم بأسلوبه الثعباني الملتوي استطاع أن يلتف حول عقلي؟ كيف أسرني رغم جهله؟!

« وهنا وصلت إلى ثاني حقيقة صفرية لا جدال فيها بالنسبة لي
وهي: أن لا أغتر بنفسي وعقلي أبدًا، بل أثق في هذا الإله وفقط. »

وأنني لن أتمكن من الوصول بمفردي اعتمادًا على عقلي فقط، بل لا بد من معلم ومعين، فعقلي قد يخونني أحيانًا إما لجهلي أو لبراعة من يضلني في الخداع، فحقًّا إنَّ من البيان لسِحْرًا.

هناك من يمكنه إقناعك بالخطأ على أنه صواب لأنه أخبث تفكيرًا منك أو لإتقانه فن الكلام وفن لَوي عنق الحقائق واللعب بالمسميات والألفاظ، وليس لأن معه الحق إطلاقًا، والحقيقة أنهم كثيرون جدًا.

فجعلت تلك الحقيقة الصفرية الجديدة دائمًا نُصْب عيني في كل خطوة أخطوها، فقبل أن أصدق ما ستقوله لي حتى وإن بدا منطقيًا فيجب عليَّ أن أفكر أولًا فيما سيترتب على كلامك المنطقي هذا، والذي قد تكون نتائجه منافية تمامًا للعقل والمنطق.

فأنظر أولًا لقصدك ومرادك وماضيك ومبتغاك وحاضرك وحالك، قبل أن أنظر في كلامك ومنطقك وأقرر أن أصدقك.

ثم لماذا أصلًا أصدقك؟!ــ

فهذا الذي ألف هذا الكتاب منتقدًا بلاغة القرآن الكريم ولغته لم أجد له كتابًا آخر، يعني ملخص حياته أنه انتقد ما لا يعرفه أصلًا، فلماذا لم تحدثني عن ما

تعرفه وتؤمن به أولًا.. عن حياتك ومعاناتك؟ أم أنك متخصص فقط في شرح مناهج غيرك؟

ما زالت نفس الآية تطاردني

{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١١٦]، كاذبون واهمون فعلًا.

حينها قرأت القرآن قراءة المستسلم سائلًا عن معنى ما أجهل عند أهل العلم والثقة الذين كان أيسرهم وأقربهم لقلبي الشيخ الشعراوي -رحمه الله-، وجدت عنده تفسيرًا جميلًا بسيطًا لكل ما لا أفهمه.

ثم توقفت للحظة..

ما هذه العظمة في هذا الكتاب!

أكاد أجد فيه ردًّا على كل قول هاجمه من قبل أن يهاجمه.



تخيل أني أعطيتك ورقة مكتوب لك فيها:

أولًا: إنك ستقول إنني لم أعطيك هذه الورقة، ثم ستشكك في جودة الورق، ثم ستحاول تغيير الورقة بغيرها لأنك لا تريد قراءتها، ثم ستنكر أنك رأيتني من الأساس.

وإذ بك تفعل ما كُتب في الورقة بالنص وبالحرف مُدَّعيًا أن ما بها غير صحيح !

فقولك هذا وفعلك ذاك هو أكبر دليل على صحتها، وأبلغ حُجَّة من كل أقوالك وأفعالك التي لا تزيدك إلا تقزمًا أمام هذه الورقة.

« صديقي الذي أتي معي من تحت الصفر حتى وصلنا لهذه النقطة .. أريد أن أخبرك بشيء ولكن لا تجزع ، فأنا أشعر أننا الآن في مأزق حقيقي »

فوجود الرد في القرآن على كل الشبهات والأقوال لا يعني بالضرورة أنه من عند الله؛ فقد يكون سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أبرع وأذكى من كل هؤلاء، قد يكون سابقًا لعصره وأوانه واستطاع أن يكتب هذا الكلام أو استعان بشخص أو جماعة حتى يقوله.

ما الذي يؤكد لي أن هذا القرآن هو كلام الله؟

كيف برأيك يمكننا الخروج من هذا المأزق؟

أظن أنه علينا أن نثبت أن القرآن هو كلام الله، وإن نجحنا في ذلك سنتمكن من إضافة حقيقة صفرية ثالثة ستريحنا كثيرًا.

فبعد الحقيقة الصفرية الأولى:
أن الله خلق هذا الكون وخلقني.
والحقيقة الصفرية الثانية:
أن لا أغتر بنفسي وعقلي أبدًا، بل أثق في هذا الإله وفقط؛ فقد يخدعني من هم أخبث مني إلا أن يبصرني الله بخبثهم ومكرهم فأنجو منهم.

لو أضفنا

حقيقة صفرية ثالثة

أن هذا القرآن هو كلام الله

فسنقف على أرض صلبة

للغاية نكمل منها الطريق

ونجد فيها إجابة السؤال.

لماذا خلقنا؟



الفصل السادس

هل القرآن كلام الله

ONE PIECE

BOOKS



هل القرآن كلام الله

سأبحث مرة أخرى عن الدكتور «ذاكر»، فقد كنت أذكر أن لديه محاضرة تزيد عن أربع ساعات بعنوان:

هل القرآن كلام الله؟

فلا أريد أن أكمل فهم القرآن من شرح الشيخ الشعراوي -رحمه الله- قبل أن أتأكد أولًا أنه كلام الله، ثم بعد ذلك أنهل من علمه قدر استطاعتي.

وجدت المحاضرة.. ما هذا الإبداع؟! أدعوك حقًّا للبحث عنها ومشاهدتها فلا تتسع مئات الكتب لسرد ما فيها.



غير أنني أوجز لك ما اعتمد عليه الدكتور «ذاكر» لإثبات أن القرآن هو كلام الله، فقد سرد بعض الحقائق العلمية الْمُثبَتة حديثًا في القرن الأخير، والتي قد ذُكرت قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان في هذا القرآن بمنتهى الدقة، بل ولم يكتفِ بذلك بل أحضر نسخًا من كتب علمية كانت تعتبر هي المراجع الأساسية في العلوم والطب حتى زمن قريب للغاية، وسرد ما بها من أخطاء علمية تنافي اكتشافات العلم الحديث بحيث يستحيل أن يكون قائل القرآن قد نقل من أحدهم.

ثم في مقطع آخر قال له أحد الحضور: إن كل ما في القرآن من علوم هو بالفعل ما تم اكتشافه قبل القرآن بآلاف السنين علي يد القدماء المصريين والبابليين والحضارة الرومانية واليونانية وباقي الحضارات القديمة.



فجاء رد الدكتور مُزَلزِلًا لي حيث قال: إن بالفعل لكل حضارة قديمة اكتشافات علمية مبهرة، لكن بقدر ما كان هناك اكتشافات علمية صحيحة بقدر ما كانت هناك أقوال علمية في هذا الزمن ثبت بعد ذلك خطؤها وأنها مَحْض دجل وخزعبلات.

فلم تخل أي حضارة منهم من الاعتقاد بعلوم كانوا يظنونها صحيحة في زمانهم، لكنها في الحقيقة خاطئة وغير صحيحة علميًا.

وذكر منها عدة أمثلة: كاعتقادهم قديمًا بأن القمر مضيء بذاته، وأن أصل الأمطار من السماء وليس من الأرض، وأمثلة أخرى كثيرة لن أذكرها هنا حتى تذهب لمشاهدة المحاضرة كاملة.



ثم وجه الدكتور سؤاله لذلك الشاب قائلًا: أخبرني مَنْ بإمكانه أن يجمع من كل تلك الحضارات العلوم الصحيحة فقط، ويترك العلوم الخاطئة والتي ثبت خطؤها في القرن الأخير، ويجمع هذا في كتاب واحد قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، ثم يضيف عليها دلائل أخرى لم يكتشفها العلم الحديث بعد، بحيث لا تتعارض أي حقيقة علمية مُثبتة حديثًا مع أي حقيقة علمية في هذا الكتاب؟ مَنْ بإمكانه أن يفعل ذلك؟ وكيف يفعله؟

ساد الصمت وبُهِتَ الذي كفر.

آمنتُ بالله الذي أشهد أن لا إله إلا هو وأن محمدًا عبده ورسوله.

حبيبي محمد.. هذا الرجل الذي أراد أن يوهمني أحدهم أنه عاش في قومه أربعين سنة لا يعرفون في أمانته وخُلُقه أحدًا، ثم قرر فجأة أن يعلن من تلقاء نفسه أنه رسول الله.

فلما سخروا من كذبته وهو يعلم أنه كاذب وحاربوه وطردوه بعد أن كان من شرفائهم تشبث بكذبه أكثر.

فلما عرضوا عليه مالهم ونسائهم ومُلكهم تشبث بكذبه أكثر وأكثر مُفضِلًا العناء والجوع والحرب في سبيل هذه الكذبة.

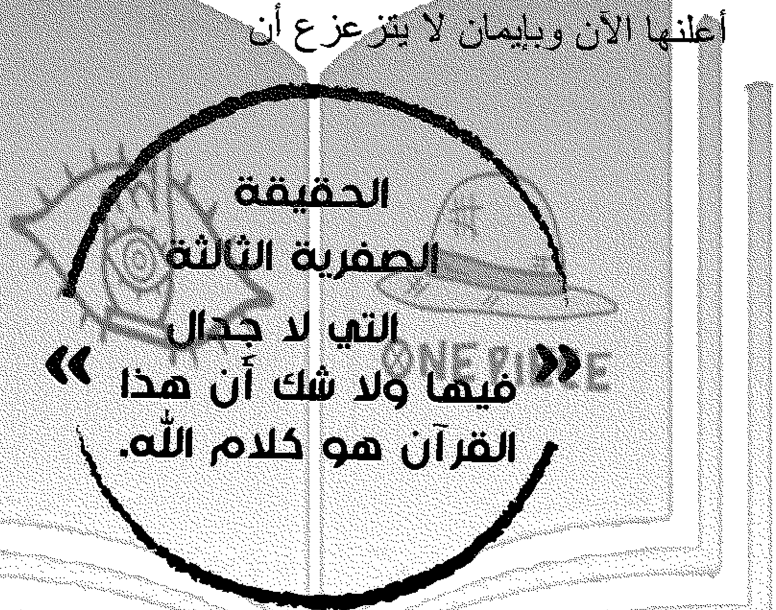
ثم قرر أن يتحداهم في أكثر ما يتقنونه وهو بلاغتهم ولغتهم؛ فقرأ عليهم كتابًا يزعم أنه من عند الله وهو يعلم أنه كاذب.

فلما بهتهم وصرع لغتهم ولم يستطع أحد منهم أن يأتي بمثله عاتب في هذا الكتاب نفسه بقوله:

{عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ} [عبس: ١] بدلًا من أن ينتصر لنفسه.

ثم خرج من هذه الدنيا كفافًا ليس لديه قصور ولا مال وقد عُرِض عليه كل ذلك! ليترك لنا كتابًا ما هو بقول البشر.

عقلي يقبل قائل هذا الكتاب وناقله الذي لم تكن له أي أهداف أخرى سوى إيصال الرسالة، فأشهد أنه قد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، ووصلت رسالته ليدي، فالحمد لله أعلنها الآن وبإيمان لا يتزعزع أن



ولن أضيع ثانية واحدة من عمري في هذا الأمر أبدًا، بل قبلت ما فيه عقلًا ونقلًا، أُصدِّق ما فيه وأُكذِّب ما يتناقض معه.

الحمد لله يا رفيقي أن آمنا بالله، والآن في يدنا كتابه، أي أننا نقف على أرض صلبة ونرى الاتجاه

الصحيح، كل ما علينا الآن أن ننظر في هذا الكتاب ونتعلمه فلا شك أن فيه النجاة، لكننا في ذلك سنواجه مشكلة حقيقية، فتعلُّم هذا الكتاب صعبٌ للغاية، قراءته الصحيحة أصلًا صعبة، وتفاسيره غالبًا ما تكون معقدة، لكن دعنا نتمسك بالنقاط التي اتفقنا عليها منذ البداية أننا مهما واجهنا من الصعاب فلن نتراجع..

تشجع وهيا نبدأ!

الفصل السابع

كيف أفهم القرآن؟

ONE PIECE

BOOKS



كيف أفهم القرآن؟

قبل أن نشرع في محاولة فهم القرآن لا تنس أننا هنا بالأساس للبحث عن إجابات لأسئلة معينة لم نجد لها حلًا بعد، والقرآن سيساعدنا على السير والبحث في طريق محدد، فكثير ممن بدأوا في فهم وحفظ القرآن فعلوا به غير ذلك فأصبح لا يتجاوز حناجرهم، أي: لا يصل إلى عقولهم، كما أخبر عنهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين قال: (يخرجُ في آخرِ الزمانِ قومٌ أحداثُ الأسنانِ سفهاءُ الأحلامِ يقرأونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُمْ يقولونَ من قولِ خيرِ البريَّةِ، يمرقونَ من الدِّينِ

كما يَمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّة). [سنن الترمذي (٢١٨٨)، قال الألباني: حسن صحيح)].

تعلموا القرآن، ثم طلبوا به المال وتملقوا به علية القوم، وأحبوا منه الألحان والأنغام ونسوا ما فيه من عمل الأذهان والأبدان؛ فهوى بهم وأهلكهم.. فاحذر أن تكون منهم.

وتذكر دائمًا حين اتفقنا أن نتجرد فنحن هنا لمعرفة الحق.. الحق فقط، وحتى نصل لذلك فلا مفر من معرفة أحكام قراءته حتى يقع في قلوبنا منه ما هو مخصص لنا، وهو ما يحدث حين يصدمك في عقلك مباشرةً حين تقرأه دون وسيط أعرف أن هذا شاق فتعلم الْمَدَّ والغُنَّة وكيفية نطق الحرف، يجعلك تتساءل:

هل ما زال هناك من يُضيع وقته في ذلك؟!

سبقنا الناس بسنين في العلوم والفيزياء والكيمياء، ونحن سنجلس الآن لنقول هل هذا الْمَدُّ أربع حركات أم ست حركات**!!**

الآن فعلًا هذه نقطة فيصليَّة مهمة، نريد أن نعرف ما هو الأهم؟؟ دراسة العلوم أم دراسة الكتاب الذي يخبرنا لماذا ندرس العلوم بالأساس؟؟

فأنا أوجه هذا السؤال لعقلك:

ماذا وجدت في حياتك أهم من القرآن؛ فقررت أن تترك القرآن وتقوم به؟

تعجبت من نفسي وعاتبتها قائلًا:

ما الذي تتعلمه أهم من أن تعرف لماذا تتعلم أساسًا؟! إذا خصبت اليورانيوم وهبطت على المريخ وأنت لا تعلم شيئًا عن الذي خلقك، ولا تعلم لماذا أنت هنا بالأساس، فماذا استفدت إذًا؟!

وحتى لا تفهم كلامي بشكل خاطئ؛ فأنا لا أقول بأن علوم الدنيا والعمل وجني المال أمر خاطئ، لم أقل ذلك أبدًا، أنا فقط أتساءل عن الأهم وعن ما له الأولوية.

ما الذكاء في أن تبدأ في فعل أشياء بدون أن تعلم ما المطلوب منك فيها؟! كمن اختار طريقًا، ثم سار فيه أميالا قبل أن يعرف كيف يختار أصلًا!

فعَالِم الدنيا مهما بلغ علمه لن يصل إلا إلى سراب إن لم يكن معه القرآن ليعرف به ما الذي عليه أن يفعله بهذا العلم، وسأضرب لك مثلًا:

انظر إلى عالم الفيزياء هذا الذي كون علمه من مجموعة كتب معينة قرأها ودرسها، هذه الكتب التي كتبها علماء غيره، فهو بنى معرفته من علم أناس آخرين، وبعد ذلك أضاف إليها أبحاثه واجتهاداته ليصل إلى المكانة الخاصة به.

هذه المكانة التي وصل إليها حين بنى علمه من علم شخص آخر مثله، لكنه افتقد إلى علم الله.. فبظنك ماذا سيخسر؟

الآية في القرآن تقول: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [البقرة: ٢٦٩].

فأول شيء سيخسره بهجره للقرآن هي الحكمة، فالآية تقول: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ}، أي أن الله فقط هو الذي يعطي الحكمة لأشخاص معينين.

الحكمة هي ما لن تتعلمه في دورة تدريبية، ولا يمكنك أخذها في مدرسة أو في جامعة، ولا حتى بتجارب الحياة، فربما سيعيش أحدهم طوال حياته ليجرب ثم يخسر، تمامًا كعالم الفيزياء الذي بعد ما أصبح عالمـًا كبيرًا ووصل إلى القمر ما زال مقتنعًا أن الله غير موجود! فهو يملك العلم لكنه لا يملك الحكمة.

الحكمة هي البصيرة.. أن تكون قادرًا على أن ترى ما أخفاه الظاهر أمامك.

الحكمة هي التي سترشدنا إلى الطريق الصحيح يا رفيقي في هذا الزمن الذي تشابكت فيه الطرق.

لا بد أن نتعلم الآيات فنرى فيها كيف تكلم الله سبحانه وتعالى، كيف كان يُثبِّت سيدنا محمد في أصعب المواقف، فنتثبت نحن أيضًا ولا نجزع.

سنرى كيف تعامل الله مع الأمم التي كانت قبلنا.

وسنعرف حال الظالمين والمظلومين فنجيد صدَّ أولهم وإعانة آخرهم.

هل أخبرك بحقيقة ما سيحدث إن تعهدنا القرآن؟

والله لينقلبن حال الدنيا حتى تصبح حبالها في يديك، تمشي وكأن الجماد والحجر والشجر قد سُخِّرا إليك،

بل والبشر أيضًا، وإن ظننت في ذلك مبالغة فأنت لا تعرف ما هو القرآن بعد.

أقول لك: كلام الله خالقي وخالقك إن ملأ صدرك فأخبرني من ذا الذي يقدر عليك؟!

هل سمعت عن رجل بألف رجل؟

أخبرني أحين نقولها نقصد أن له ألف ذراع أو ألف رأس؟ لا والله، بل رجل حمل القرآن في صدره ففاقت روحه روح ألف ممن لا يفقهون، ووسع عقله عقلهم إن كانوا يعقلون.

ابدأ معي الآن حتى ننهل من آياته التي تتكلم عنا وعن حالنا وتخبرنا ماذا علينا أن نفعل، فسنجد آيات تحذرنا من أصناف الناس الذين سنقابلهم في حياتنا بأدق تفاصيلهم كأننا نراهم، حتى إذا لقيناهم في حياتنا ابتسمنا في وجوههم ابتسامة المنتصر قبل أن تبدأ المعركة.

ألا أخبرك بما حدث لي حين تعهدت القرآن؟

لقد فهمت معنى الإيمان، فإيمان الباحث لا يشبه إيمان المصدق.

لا أعرف إن كنت سأتمكن من إيضاح كيف يقع الإيمان في القلب، فمهما قلت فلن تدرك ما أعنيه وتشعر به إلا لحظة وقوعه في قلبك أنت، لكني سأحاول.

لما تعهدت القرآن صدقت أن السماء والأرض ما هما إلا معجزات عظيمة من رآهما ولم يؤمن بخالق لهما لأنه تعود على رؤيتهما، لو رأى الجنة والنار بأم عينه فلن يؤمن بهما أيضًا لأنه سيكون قد تعود عليهما وستكونان في حدود قدراته التي خلقه الله بها.

لما تعهدت القرآن رأيت كذب من رأى العجب بعينيه ولم يؤمن كأنه مكتوب على فمه كاذب، وكأن من يريد أن يقنعني بأن كل هذا صدفة وقد تزينت جبينه بكلمة كافر.

لما تعهدت القرآن صدقت الآية التي تقول: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: ٢٧].

لما تعهدت القرآن صار من البلاهة أن أصدق أن الذي قتل الآلاف هذا مات ولن يُحاسب، بل سأصدق قوله سبحانه و تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: ٤٢]

لن أصدق الناس الذين قال أحدهم: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ} [النازعات: ٢٤]، فما دام ربكم غير موجود فلماذا لا أكون أنا ربكم؟ بل سأصدق الناس الذين منهم مَنْ قال: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [هود: ٢٩].

لن أصدق شخصًا يُنفق أمواله في كل سفه لأنه يظن أن كل هذا سيذهب سدى، بل سأؤمن بالصدقة التي كلما أخرجتها ردت إلي أضعافًا أمام عيني.

لن أصدق شخصًا لم يشعر أبدًا بمعنى السجود والقرب من الذي خلقه، ويعيش في جحيم يظهر على وجهه مهما حاول أن ينكره، يحاول يائسًا أن يخفيه لأنه يريد أن يكون كل الناس مثله ومعه في نفس الجحيم الذي

يعيش فيه.. وهذا هو التفسير الوحيد المنطقي عندما تراه يستشيط غضبًا وهو يحاول إقناعك بأن كل ذلك صدفة وأن كلنا سنختفي.

حسنًا، إن كان ما نحن فيه صدفة وإن كنا جميعًا سنختفي، فلماذا لا تتركني أختفي كما أريد؟ فليختفي كلٌّ منا على الطريقة التي يريد، ما الذي لا يُعجبك في قرآن ودين يجعلاني أساعد الفقير وأنصر المظلوم وأكرم اليتيم وأصل الرحم وأزور الجار؟ دين يقول لي: ساند المريض، وبر والديك، واترك الزنا، واشهد بالحق ولو على نفسك، وقل الصدق، ولا تأكل حق أحد، واجبر خواطر الناس.

ما الذي لا يعجبك في ذلك؟!

كالعادة في القرآن أجد مبتغاي وقوتي وردي وضالتي، فالآية تقول: {إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر: ٥٦].

الكِبْر هو النقطة التي جعلت أناسًا يذبحون الناقة، وآخرين يغرقون في البحر،

الكِبْر الذي جعل إبليس يرفض أمر الله رغم أنه كان يكلم الله عز وجل ويرى الملائكة بأم عينه، وقال: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ} [ص: ٧٦]، ولم يرضَ أن يسجد، وبسببه طُرد من رحمة الله، ومن حينها وهو يبث الكبر في كل واحد منا؛ لأنه يعلم أن الكِبْر أقصر طريق للكُفر والطرد من رحمة الله.

تتكبر فتسأل: إذا كان الله موجودًا فلماذا لا يوجد شيء يُنهي هذا الموضوع تمامًا؟ مثلًا: شخص ميت يحيا مرة أخرى ويخبرنا بما رآه، أو ملك ينزل لنا من السماء، أو جبل في الأرض عندما نصعد عليه نرى منه الجنة والنار؟ وجدت مباشرةً الرد في القرآن يقول: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

سيدنا صالح عليه السلام لما ذهب لقوم ثمود قالوا له: أنت تخبرنا أن الله موجود؟ إذًا أخرج لنا جملًا من هذه الصخرة.

فلما أخرج اللهُ لهم أمام أعينهم من الصخرة جملًا ذبحوه، وقالوا له: فليعذبنا الله لو كان موجودًا بالفعل!!

جيش فرعون وهو يطارد سيدنا موسى عليه السلام والمؤمنين معه رأوا البحر ينفلق إلى نصفين أمام أعينهم ليمر المؤمنون، فبدلًا من أن يؤمنوا لأنهم رأوا انفلاق البحر نصفين أمامهم ليمر الرجل الذي كان يقول لهم إن هناك إلهًا، قرروا أن ينزلوا وراءهم البحر ليقتلوهم!!

ابن سيدنا نوح عليه السلام رأى الصحراء تحولت إلى بحر في ثوانٍ، وأبوه معه سفينة ويقول له: اركب! قال له: لا، أنا أعرف ما عليَّ القيام به، حتى غرق وهلك!!

سبحان الله! الذي قال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ} [الأنعام ٧ : ٨].

فهمت أنه من أراد الحق فسيؤمن به دون أية معجزات، أما طالب المعجزات هذا الذي لم يكفه كل ما في الكون من آيات فلن يؤمن حتى وإن رأى الجنة والنار بعينه.

اقرأ هذه الآية: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ

فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} [الحجر ١٤ : ١٥].

بمعنى: لو أصبح هناك مكان نذهب إليه ونرى منه الجنة والنار؛ فستجد مَنْ يقول لك: ربما هذا سحر فعله أحدٌ ما!

هذا بالإضافة إلى أننا كبشر لنا حدود معينة للاستيعاب، بمعنى: لو رأى أحدنا أسدًا معه في الغرفة فجأةً سيغمى عليه في الحال أو قد تصيبه تشنجات، ولا يستبعد أن يموت من الصدمة قبل حتى أن يأكله الأسد، لكنه رغم ضعفه هذا قادر على أن يجلس متكبرًا متغطرسًا يضع قدمًا على قدم ويقول: لكني أريد أن أرى ملكًا من السماء!!

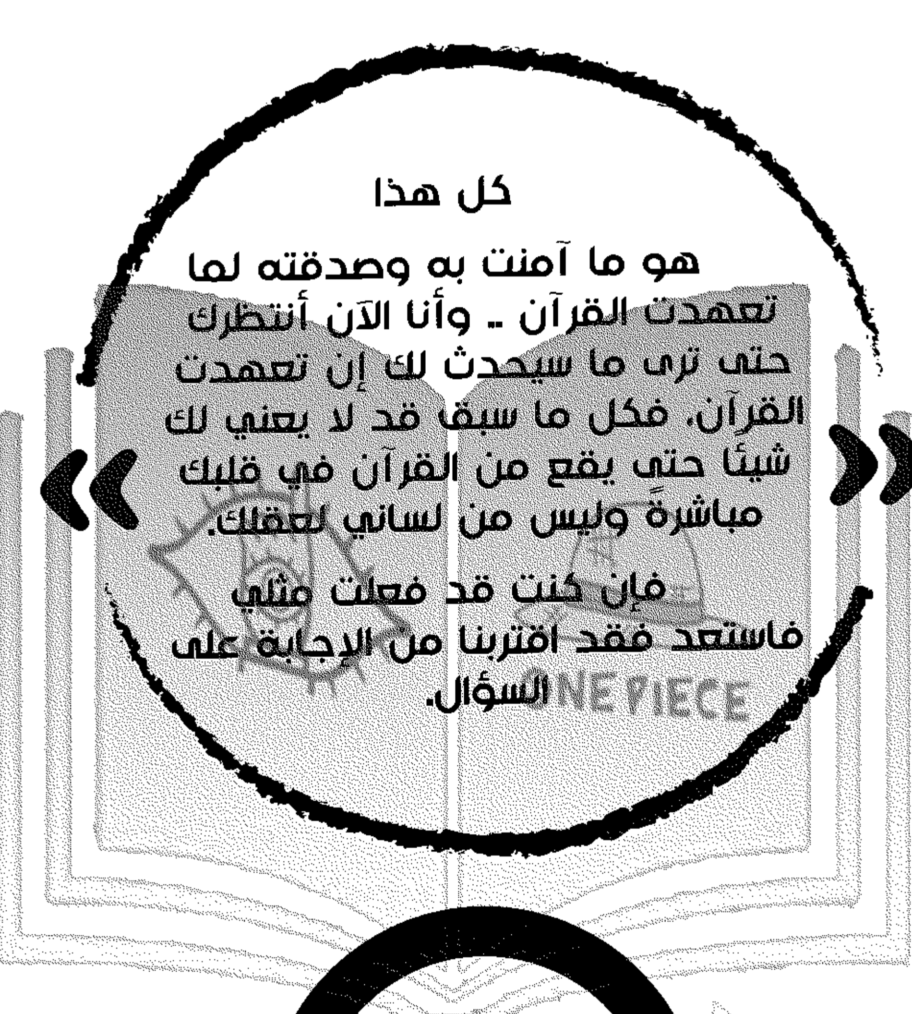
ولو أنزل الله ملكًا من السماء سينزله على هيئة رجل حِفاظًا على قدراتك التي خلقك بها، ووقتها لن تؤمن به أيضًا، فالآية تقول: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} [الأنعام: ٩].

فالحقيقة أن كل شيء حولي هو مُعجزة حتى جسدي، {وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات : ٢١].

كل هذا

هو ما آمنت به وصدقته لما تعهدت القرآن ـ وأنا الآن أنتظرك حتى ترى ما سيحدث لك إن تعهدت القرآن، فكل ما سبق قد لا يعني لك شيئًا حتى يقع من القرآن في قلبك مباشرةً وليس من لساني لعقلك.

فإن كنت قد فعلت مثلي فاستعد فقد اقتربنا من الإجابة على السؤال.



الفصل الثامن

الإجابة

ONE PIECE

BOOKS



الإجابة

فأنا متشوق لإيجاد الإجابة التي بحثنا كثيرًا حتى نجد مصدرًا موثوقًا لإجابتها، وأشعر أننا اقتربنا للغاية، وأن الأمر بات سهلًا وإجابته مضمونة.

لكن إجابة السؤال في القرآن بقدر وضوحها بقدر غرابتها فالآية تقول: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

مهلًا.. وهل يحتاج الله لعبادتنا في شيء؟!

ولماذا خلقنا لنفعل شيئًا هو سبحانه وتعالى لا يحتاج إليه أساسًا؟!

أنا لا أعترض على مبدأ العبادة، ولكن فقط أود أن أفهم (لماذا؟)، فقد كانت ردود معظم الشيوخ الذين استعنت بهم لفهم تلك الآية مخيبة لي، فمنهم من قال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا تفكر في مثل هذه الأمور.

ما الذي يعنيه هذا؟ هل يطلب مني أن أعود لفقاعتي مرة أخرى آكل وأنام ولا أفكر لماذا أنا هنا؟!!
فما الذي أدراني إذا إنني حققت المراد من هذه العبادة؟؟ فأنا لا أعرف أساسًا إن كانت العبادة هدفًا بحد ذاتها أم وسيلة للوصول لشيء آخر.

ثم لماذا لا أفكر؟؟ هل لأنكم لا تملكون إجابة؟ بماذا سأجيب الله إذًا يوم القيامة إن ذهبت على هذه الحال وسألني: ما الذي شغلك عن معرفتي وفهم آياتي؟!! وما الذي شغلك عني حتى تأتيني وأنت لا تعرف لماذا خلقتك؟!!

قررت أنه يجب عليَّ أن أفهم، وسأعيش حياتي كلها وأنا أحاول أن أصل إلى الله.

ومما أصبح جليًّا لي بعد بحث عميق أني عندما سألت هذا السؤال (لماذا خلقني؟) كنت بين حالين:

أولهما: عند وقوع المصيبة.

فيتبادر إلى ذهني هذا السؤال ساخطًا معترضًا على هذه الحياة التي آذتني دون أن أعرف حتى (لماذا أنا فيها؟).

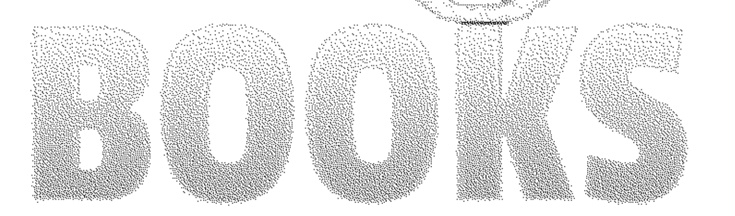
وثانيهما: عند الفرح والرضا.

يتكرر هذا السؤال أيضًا طالبًا القرب أكثر من هذا الخالق الذي وهبني تلك الحياة ومنحني هذه اللحظات السعيدة.

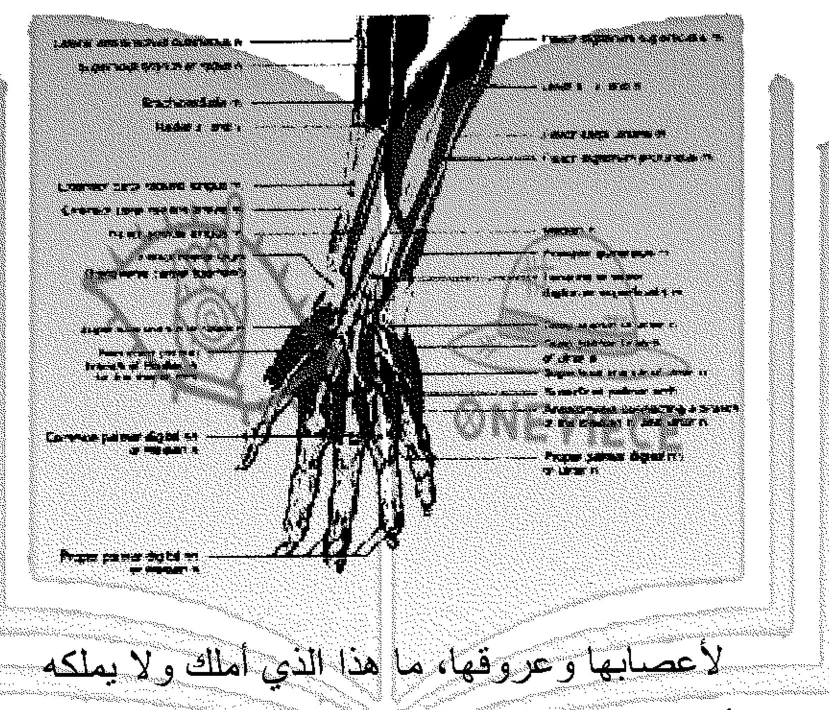
وحتى أبني حقيقة صفرية جديدة تحمل إجابة لهذا السؤال كان عليَّ أن أختار حالتي أولًا: هل أنا سعيد بهذا الوجود الذي أنا فيه أم أنا ساخط؟

وفي هذه المرحلة من القصة كنت ساخطًا للغاية؛ فأنا لم أختر بالأساس أن أكون هنا، وفضَّلت في أحيان كثيرة أن أكون ترابًا بدلًا من هذه الحياة الشاقة.

ولكن بنظرة متمعنة أكثر في حالي توصلت لبعض النقاط، وأولها: أن الله خلقني بجسد هو الأفضل بين سائر مخلوقاته، فبتأمل كيف تأكل الحيوانات وتشرب مُكِبَّةً على وجهها في الأرض، وكيف تُقَطِّع طعامها بمعاناة بالغة، وكيف يعاني الثعبان ليزحف ويسير.



ثم نظرت إلى يدي -فقط- والتي بإمكانها أن تمسك وتكتب، نظرت ليدي كثيرًا...



لأعصابها وعروقها، ما هذا الذي أملك ولا يملكه مخلوقٌ غيري؟! دقة ومهارة وقوة في نفس الوقت، جهاز مبهر أملكه وولدت به متميز للغاية خارق للطبيعة.

تأملت بعد يدي كلَّ عضوٍ في جسدي، أبهرني كل عضو أكثر من الآخر، ما هذا الإبداع والجمال الفائق

الذي جعله إلهي تحت تصرفي! وسخَّر سائر المخلوقات لتنشئ نظامًا طبيعيًا لخدمتي، وزرع في قلب أمي وأبي ومن حولي حبًّا لي يشملني حتى يكتمل نموي، ورزقني طعامًا استمتع وأتلذذ حقًّا عند أكله وشربه، وسخَّر كل ما حولي ليسعدني.

نِعَمٌ لا تعد ولا تحصى بمعنى الكلمة، وأقابلها بهذا السخط؟! ما أشد جهلي! وما أعظم جُرأتي! ما أحقر مبدأي الذي تأففت به لأني لا أمتلك أشياء إضافية! وما أسوأ كِبري الذي جعلني ممتعضًا من خالقي إن ظلمني وتكبر عليَّ إنسانٌ مثلي بدلًا من محاولة تغيير هذا الإنسان الذي ظلمني!

ثم إن خالقي أخبرني أن كل هذا فقط هو جزء بسيط للغاية من رحلتي، فمهما حدث لي فيه فهو لا يتعدى كونه أقل من لحظة مقارنةً بالنعيم الذي أعده لي إلى ما لا نهاية في باقي رحلتي، فمقارنة الظلم مع مقدار العطاء يجعلني لا أجد مبررًا لسخافتي عندما أقول مستنكرا بجحود: إلهي! لماذا خلقتني؟

بل الآن سأقول: إلهي وخالقي! أعتذر عن جهلي وسوء أدبي، أعتذر عن كبري وعنادي، فأنا ممتن للغاية لأنك خلقتني، ولا أملك ما يمكنني من شكرك على كل هذه النعم، وسعيد بعالمي وأحبه، وأحبك ربي، أحبك حقًّا، وأحب أنك أوجدتني، ويكفيني من الوجود أنك خالقي، فأيُّ شرف هذا أن أكون عبدًا لك! هل هناك ما يوصلني إليك أو أفعله لتفرح بي؟ فلا يستوعب عقلي أن عبدًا مثلي قد يفعل ما يفرح به إله عظيم إلا إن كان هذا الإله يحبني.

ما هذا؟؟ إلهي!

هل تحبني ولهذا خلقتني؟ أيمكن أن يكون هذا هو سبب وجودي؟

لو كان هو السبب فيا لسعادتي!

والله لا أعرف ماذا أقول أو كيف أعبر.

إلهي! سأقول شيئًا: لا يهمني أصلًا أن أعرف الآن ما هو السبب الحقيقي لوجودي، يكفيني أني عبدك وأفعل

ما تشاء قدر استطاعتي، حتى نلتقي فأدرك وأفهم ما لم يدركه عقلي القاصر من إرادتك وحكمتك، سأعيش محاولًا الوصول إليك، فهو الآن أكبر أهدافي في الحياة، وسأعتبره إجابة سؤالي -ولو مؤقتًا-.

اسمح لي إلهي أن أقول: إنك خلقتني لأنك تحبني رغم أن هذا شرف لا أدري إن كنت أستحقه أم لا، وإن وجودي هنا هو لإعطائي فرصة الوصول إليك، وأعدك أن أغتنم تلك الفرصة.

وإن عبادتي هي أول طريق وصولي إليك ومعرفتي بك وقربي منك، وليست كما ظننت جاهلًا فيما مضى أنها قد تنفعك أو تضرك.

الآن وصلت لجزء مهم جدًا من الاجابة، والتي تأكدت منها أكثر لما وجدت أن أول من سأل هذا السؤال الذي سألتُه هم الملائكة وقبل حتى وجود البشر، لما قال الله لهم: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة: ٣٠].

فأول شيء سألوه: لماذا يكون هناك مخلوق يُفسد في الأرض؟!

وبالضبط هذا ما كنت أبحث عنه.

وزادوا فقالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: ٣٠]، بمعنى: لو كان الأمر على عبادة فالملائكة يعبدون الله.

هنا تأكدت أن العبادة ليست كما كنت أظن أنها صلاة و صيام فقط بل المقصود من كلمة

العبادة أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله من أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة .. أي إنها طريقة للحياة

ثم جاء رد المولى سبحانه وتعالى عليهم: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠]، يعرف سبحانه وتعالى ما لا يعرفه أحد.

أكملت القراءة فوجدت: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} [البقرة: ٣١]، اللهُ علَّم سيدنا آدم أسماء كل شيء: علَّمه اللغة، علَّمه الكلام.

وإلى هذه اللحظة لم يكن هناك أي مخلوق أعلم من الملائكة، فسأل الله الملائكة عن الأسماء فلم يستطيعوا الرد {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

فأمر الله آدم عليه السلام أن يخبرهم بما جهلوا {قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ} [البقرة: ٣٣].

فوقف سيدنا آدم في مشهد مهيب يظهر عظمة هذا المخلوق الضعيف يُخبر الملائكة بمعلومات لا يعرفونها.

هل تتخيلون حجم إمكانيات وقدرات الملائكة بالأساس؟

سيدنا جبريل عليه السلام له ستمائة جناح كما جاء في الحديث عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.. فلما أرسله الله ليهلك قوم لوط رفع قريتهم وقلبها على رأسها بطرف جناحٍ واحد منه. لما أرسله الله لعذاب قوم لوط رفع قريةً كاملةً وقلبها على رأسها، ملك الموت أعطاه الله قدرةً على قبض أي عدد من الأرواح في نفس الثانية في أماكن مختلفة على كوكب الأرض، هل تتخيلون شكل هذا الملك؟

فملائكة بمثل هذه القدرات يأمر الله آدم -عليه السلام- أن يخبرهم بالإجابات، وبعد ذلك يأمرهم أن يسجدوا له، هذا يؤكد لي أن الله فضلني على هذه المخلوقات، ويعني أن الله أعطاني عقلًا يستوعب معلومات الملائكة أنفسهم لم يكونوا يعرفونها، أعطاني عقلًا ولغةً يجعلان العالِم الذي قضى حياته كلها في بحث من الأبحاث يكتب النتيجة التي وصل إليها في سطر واحد، ليأتي العالم الذي بعده يقرأ خلاصة سنين وأبحاث العالِم الذي قبله في أقل من دقيقة!!

وجعلني رغم ضعفي قادرًا بالعقل والعلم على أن أطير في السماء، وقدراتي أصبح فيها بعض الشبه من قدرات الملائكة، وبالعقل والعلم اخترعت قنبلة تمحو بلدًا كاملةً، الله أعطاني عقلًا عبارة عن معجزة ستساعدني في الوصل إليه دون أن أراه.

الملائكة يكلمون الله بالفعل، فلا يوجد أمامهم سوى أن يعبدوه، إنما نحن المعجزة الحقيقية، حيث سنصل إلى

الله ونحبه بدون أن نراه، ولن تتحقق تلك المعجزة بدون وجودنا في الدنيا.

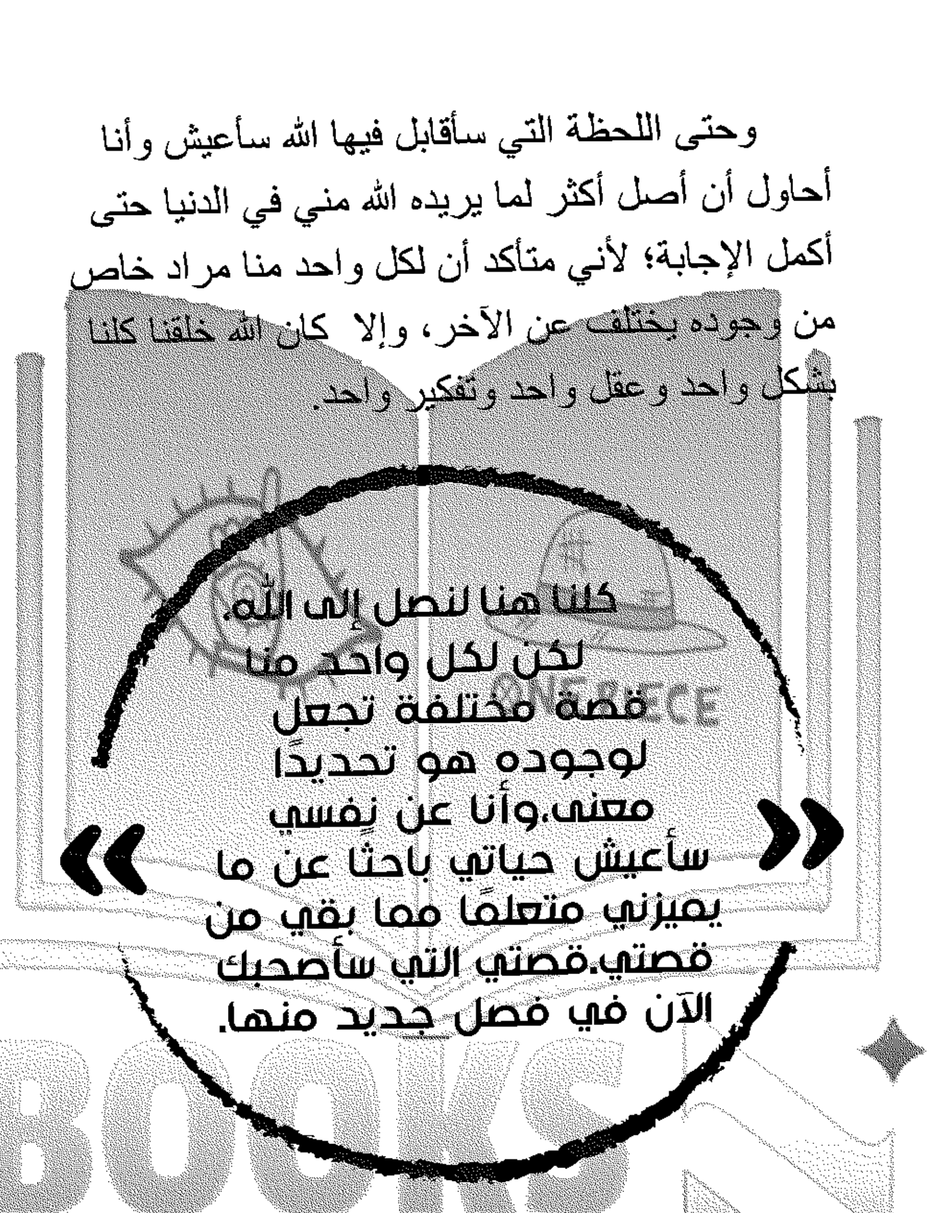
الله خلقني بعقل ونفخ في من روحه لأصل له بكل سهولة.

الله خلقني بخصائص تجعلني أحبُّه حبًّا مبنيًّا على أن هذا هو اختياري وليس لأنه أجبرني عليه.

ففهمت أكثر قدر العظمة في العلاقة بيني وبين الله، نعم عبادتي لن تضر أو تنفع الله، لكن هذه هي الطريقة التي أبني بها علاقتي مع الله، هذه هي أسهل طريقة أصل بها إلى الله وهي عبادته والإيمان به، ومعنى ذلك أني أحببته بالأفعال وليس بالكلام فقط.

لذلك قال الله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، العبادة هي محصلة قراري وإثباته لا أكثر، أصبحت في سعادة غير عادية وأنا أفهم ما الذي عليَّ أن أثبته هنا، هي بالفعل مهمة صعبة، لكن فرحتها الحقيقية عندما أقابل الله ويخبرني أني نجحت.

وحتى اللحظة التي سأقابل فيها الله سأعيش وأنا أحاول أن أصل أكثر لما يريده الله مني في الدنيا حتى أكمل الإجابة؛ لأني متأكد أن لكل واحد منا مراد خاص من وجوده يختلف عن الآخر، وإلا كان الله خلقنا كلنا بشكل واحد وعقل واحد وتفكير واحد.





الفصل التاسع

لماذا الظلم إذًا؟!



لماذا الظلم إذًا؟!

الحمد لله كنت أمتلك ثلاث حقائق صفرية أضفت لهم الرابعة وهي المعنى من وجودي.

ONE PIECE

أمسكت هذه الحقائق بيدي

أولها:
أن الله خلق الكون وخلقني.

ثانيها:
أن لا أغتر بنفسي وعقلي أبدًا إلا أن يبصرني الله بالحقيقة.

ثالثها:
أن القرآن كلام الله.

رابعها:
أن للوجود حكمة أعظم وأجل من أن يدركها عقلي، وما عليَّ عمله الآن هو أن أصل إلى الله عن طريق العبادة كما أمرني.

أمسكت هذه الحقائق وكنت حذرًا أكثر من أي وقت مضى، فرحلة الوصول تلك هلك فيها الكثيرون ممن نسوا تلك الحقائق، ولذلك فسأذكر نفسي دائمًا أنه حتى وإن كنت أدرك جزءًا من تلك الحكمة وأسباب الوجود فينبغي عليّ أن أتأدب حين لا أفهم البعض الآخر.

وهذا ما أنا بصدده الآن، فلن تقف قصتي عند معرفتي لسبب وجودي، بل قررت أن أذهب أبعد من ذلك لأعرف الحكمة من كل شيء من: الأمراض، والحروب، والمجاعات، والحكمة من وجود النار، ولماذا خلق الله من يذهب للنار أساسًا، والحكمة من العبادات التي شقّ عليّ الالتزام بها كالصلاة.

سأبحث في هذه الأمور دون أن أتجاهل ما وصلت إليه من حقائق راسخة بداخلي، والتي جعلتني مقتنعًا أني حتى إن لم أصل لإجابة مقنعة فهذا لا يعني أن هذا الأمر عبثي أو بدون حكمة، بل يعني أنني ما زلت قاصرًا جاهلًا عاجزًا عن الوصول لحكمته.

فإن لم تكن مثلي فرجاءً لا تنتقل لهذا الجزء من القصة قبل أن تقطع الشك باليقين في الجزء السابق منها.

وإن كنت مثلي فهيا نبدأ..

أفكر أن نبدأ بالحكمة من الحروب والظلم الواقع فيها من قتل للأطفال والنساء بل واغتصابهم أحيانًا.

لماذا لا يمنع الله ذلك؟؟ أليس هو المدبر لكل شيء المسيطر عليه؟؟

والآن لأجد الإجابة سأحدد طلبي..

أريد عالَمًا بلا أمراض أو حروب أو مجاعات..

كم سيكون عالَمًا مثاليًا جميلًا يعيش الجميع فيه بهناء وسعادة حتى يموتوا ويذهبوا جميعًا إلى الجنة! ما أجملها من حياة!

ولكن لحظة.. سيتنافى هذا العالَم مع حقيقة أن الإنسان مخلوقٌ حُرٌّ يختار أن يفعل الصواب أو الخطأ، فإما أن يكون مخلوقًا ملائكيًّا جُبِلَ على الصواب فقط، أو يكون مخلوقًا حُرًّا باستطاعته فعل ما يريده سواء كان صوابًا أو خطأً.

وخُلِق الإنسان أصلًا ليصير مخلوقًا حرًّا، وهذا ما يميزه، وبنزع تلك الصفة فلا حاجة لوجوده من الأساس، ونحن نريده أن يختار بحريته أن يفعل الصواب، ويستحيل أن يختار ذلك بحريته إلا إن كان بإمكانه أن يفعل الخطأ.

فوجود (الخطأ) في حياتنا هو من مكونات هذا الإنسان التي بنزعها لا يصير إنسانًا أصلًا، وهذا الخطأ يتضمن كل ما باستطاعتك فعله، كما أن الصواب يتضمن كل ما باستطاعتك فعله.

والآن لديك مخلوق حر باستطاعته أن يقتل نفسًا أو يتركها، أخبره خالقه أنه إن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، وإن قتلها فإن جزاؤه جهنم خالدًا فيها.

فإن اختار قتلها فهل هذا مراد الله من الخلق أم عصيان ذلك الإنسان؟

بالتأكيد هو عصيانه وطغيانه وتكبره الذي يُحاسَب هو عليه، الآية واضحة {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [يونس: ٤٤]، الخالق لم يظلم أحدًا قط لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل ظلم هذا المخلوق نفسه.

وهنا يتجلى الخالق العظيم بقدرته وحكمته التي لا يدركها الكثير، فجعل اقتتال الناس حتى وإن كان في ظاهره العذاب إلا أنه تطهير وإصلاح وتمحيص ضروري لاستمرار الحياة.

فلما اغتنى الناس ابتعدوا عن خالقهم وتفننوا في فعل الموبقات وأهلكوا أنفسهم وتسلط بعضهم على بعض، فلما أذاقهم الله بأس بعض إذا بهم يستفيقون من غفلتهم ويعودن لخالقهم ولمراده من خلقه.

فإذا بالحياة الخالية من الحروب والمجاعات هي أكثر بعدًا عن تحقيق الهدف من اختبار الحياة الدنيا، فيدخل منها الناس أفواجًا إلى النار بعصيانهم وإهلاكهم أنفسهم.

وإذا بالحياة المختلطة بالحروب والمجاعات ينتج عنها أعدادًا أكبر يدخلون الجنة زُمرًا ويتحقق مراد الله منهم، وينتج عنها أبطال رفعوا اسم البشرية عاليًا وأظهروا معدنها الحقيقي.

فأصبح حتى عصيان من عصى واعتداؤه على غيره وتنفيذ حريته لا يخرج بأية حال من الأحوال عن مراد الله، فهو إله عظيم حكيم قادر يدبر الأمر، إن أطعته حققت مراده ونلت رضاه، وإن عصيته كنت سببًا لأن يحقق غيرك مراده، فلا يخرج بذلك عصيانك عن إرادته أيضًا، بل أنت محكوم في كل أحوالك ولا يزدك عصيانك إلا أن تنال سخطه وعقابه.

سبحان الله! يتكبر هذا الإنسان فيقيم الحروب ويحدث المجاعات بسبب غطرسته وعناده، ثم يقول: (أين الله؟)، وتنسى أن الله جعلك بظلمك هذا طريقًا للناس يصلح دنياهم، فالآية واضحة كما الشمس: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١]، والله أُحبُّ القرآن فكم هو واضح مريح!.

>> بدون ظلمك الذي سوف تُحاسَب عليه يوم القيامة كنت لترانا كلنا فاسدين مثلك. <<

والظلم والقتل مهما طال زمنهما فكلنا نعلم أن يوم القيامة مدته خمسين ألف سنة، وهذا يعني أن حياتنا هنا في الدنيا من أولها لآخرها -بفرض أنك حييت مائة عام- لا تساوي في يوم القيامة ثانيتين أو ثلاثة! هذا ونحن لم نتكلم بعد عن الجنة والنار!

بل أعدَّ الله من النعيم لمن ظُلم وقُتل ما يجعله يتمنى أن يعود إلى الدنيا فيُقتَل في سبيل الله مرة أخرى، ففي الحديث:

(يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ. ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ) [صحيح مسلم (٢٨٠٧)].

فأقصى ما يمكن لمخلوق أن يعتدي به على غيره يُمحى مع أول ثانية في الجنة، وأقصى ما يمكنك أن تصل له من تكبر وتجبر يُمحى مع أول ثانية في النار.

حقيقةً لا أجد أعدل وأجزل من ذلك.

حتى الأمراض و العلل التي استشرت فهي من تعدي الإنسان على نواميس الكون و بعده عن الحياة التي أمره بها خالقه.. فقد تطور البشر كثيرا لكن للأسف تطوروا بالاتجاه الخاطئ، فلم يراعوا حق الله فيما وصلوا إليه.. فانقلبت عليهم الدنيا التي أفسدوها عللاً وأمراضًا فتكت بهم، كما جاء في الحديث عن سيدنا رسول الله عن عبد الله بن عمر(يا مَعْشَرَ المهاجرِينَ خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ: لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ؛ حتى يُعْلِنُوا بها؛ إلا فَشَا فيهِمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنَةِ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم، ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم

يُمْطَرُوا، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم، فأَخَذوا بعضَ ما كان في أَيْدِيهِم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينَهم) أخرجه ابن ماجه.

وهو ما رأيناه جليا في زماننا هذا من أمراض فتاكة انتشرت كالكورونا وغيرها.

كما أن هذا لا ينفي وجود نوع آخر من البلاء كالزلازل والبراكين أو أن يولد طفل بعاهة دائمة أو مرض نادر أو أن تجد حيوان أليفًا معاقًا.

فلا تجعل نظرتك لهذا النوع من الشر الكوني ضيقة فالصورة الكاملة لهذا الذي نظنه شراً نحن لا نعلمها..

وهذه الصورة الكاملة يُحبها الله سبحانه و تعالى، فإما يحب الله الفعل الذي سيترتب على هذا الحدث كأن يصبر الأبوين على طفلهما المصاب فيصحبهما معه للجنة وإما أن الله يحب ما سيؤول إليه هذا الأمر كأن ينصلح به فساد أكبر.

فالله لا يرضى بالشر أبداً لكنه قدَّره كوناً لأنه سيؤل إلى خير أكبر.

فما علينا الآن هو أن نَرضى بقدرِ الله فله الحكمة البالغة.

ثم إن هذا الشر لا تكاد تُذكر نسبته أصلاً إذا قارنته بالشر المُترتب على فعل الإنسان فمن بين ملايين الأصحاء تجد هذا الذي ولد معاقًا

فهي نسبة ضئيلة للغاية مقارنة بالفساد والأمراض المترتبة على فعل البشر وبما كسبت أيديهم فالآية تقول « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) سورة الروم - الآية ١٤

سبحان الله في آخر الآية {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}!، إلهي ما أرحمك وأعظمك وأحكمك! حتى لما أفسد الناس الأرض وعاثوا فيها فسادًا، وانقلب هذا الفساد عليهم فأهلكوا أنفسهم، أَحْكَمْتَ آياتك في خلقك، وجعلت ذلك سببًا لرجوعهم إليك وقربهم منك، فلم يخرج فسادهم بأية حال من الأحوال عن تحقيق حكمتك.

حتى الفقر الذي أصاب الكثير والكثير من الناس..
هل تعتقد أن الله خلق الناس فقراء؟

كلا والله، بل حباهم بخيرات وبركات، ووهبهم أرضًا فيها ما يكفي من الرزق لأضعاف أعداد البشر، لكنهم أبوا إلا أن يقتتلوا عليه؛ فأصبح منهم الفقير والغني والحاكم والعبد، فانتشر الفقر نتيجة لهذه الحروب ونتج عن هذا التكبر والفساد، ولم يخرج ذلك أيضًا بحال من الأحوال عن رحمة الله وحكمته، فالآية تقول: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى: ٢٧].

الدنيا لو كانت عبارة عن مال كثير ومُتع ليس لها حدود، كان انتشار الفواحش والفساد سيتضاعف عما نراه الآن ولن يكون له أي حدود أيضًا، بل كانت الحياة ستنتهي تمامًا، فبأم أعيننا نرى يوميًا من يغيره المال ويفسده، إنما من رحمة وحكمة الله، الآية تقول:

{وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف: ١٦٨].

مرة أخرى {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

ولكن ماذا إن لم يرجعوا؟؟

الفصل العاشر

الحكمة من خلق النار

ONE PIECE

BOOKS



الحكمة من خلق النار

حقًّا ماذا سيحدث إن لم يرجعوا؟ ففكرة أن الذي يرتكب خطأً سيدخل النار بالنسبة لي فكرة غير مقبولة؛ فمهما كان الخطأ بالتأكيد العقاب بالنار أكبر منه، والجزاء بهذا الشكل ليس من جنس العمل، فأين العدل؟!

كنت أسمع كلامًا مرعبًا ممن حولي مع كل تصرف خاطئ أرتكبه يُقال لي: ستدخل النار، أنت ستُحرق، أنت ستُشوى في جهنم.

بالإضافة إلى أن وصف النار في القرآن صعب للغاية {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الحج ١٩ : ٢١].

بل وهناك أناس من المفترض أنهم سيظلون في هذا العذاب إلى ما لا نهاية، كيف ذلك؟!

بالتأكيد مهما فعل لا يستحق أن يظل في النار إلى الأبد! فعقاب النار أكبر من أي خطأ يمكن لأي أحد أن يرتكبه.

أعتقد أنني في هذه المرحلة كنت طيبًا للغاية ☺ لم أكن متخيلًا أو مطلعًا على بشاعة ما فعله من عَبَدَ الشيطان.

فبعد سنوات في الحياة اتضح أن هذا العقاب أقل شيء يستحقه بعض الناس؛ ففي بعض الحروب كان الجنود يأخذون الأطفال والنساء ليغتصبوهنَّ أمام أزواجهنَّ، ثم يذبحون الرجال أمام النساء، وبعد ذلك يقتلون الأطفال والنساء!!

ويفعلون ذلك بمنتهى الاستمتاع، إنسان يتفنن في ابتكار أبشع وسائل القتل والتعذيب لأخيه الإنسان فقط لمجرد أنه اختلف معه أو لأنه مؤمن بالله! ويسأله: أين الله؟ اطلب منه أن يأتي لإنقاذك!

إنسان قال لأخيه الإنسان: أنا ربُّك، ويذبح أخاه الإنسان إن لم يسجد له.

وبعد ذلك تجد مَنْ يسأل: ماذا فعلوا حتى يستحقوا دخول النار؟!!



الله عز وجل أعطاك صلاحيات لا يوجد مخلوق في الكون غيرك أخذها، والله فقط هو الذي يعرف ثمنها لو أخطأت في استخدامها، وثمنها هو النار.

ولما أخطأت وأرسل لك أنبياء ليحذروك ذبحتهم! حقًّا ذبحوا أنبيائهم وقالوا متكبرين: أين عذاب الله؟! {قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [العنكبوت: ٢٩] يسألون: هل يوجد نار؟ إذًا نحن نريد أن ندخلها..

بمنتهى السخرية والجحود!!

فيكفيني أن من أسباب وجود النار أنه يوجد من يريد أن يدخلها، مخلوق عجيب يريد أن يدخل النار فليدخلها إذًا.

وسيدخلها بمنتهى السخرية أيضًا التي كان يتكلم بها في الدنيا حينما ظل يسخر ويقول: نعم، أنا أريد أن أدخل النار.. وكان سعيدًا جدًا، فالآية تدل على أن الاستضافة في النار ستكون أيضًا بنفس السخرية، فالآية تقول:

{إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٢]

كلمة «نُزُل» مثل كلمة «نزيل في فندق»، فيسخر الله سبحانه وتعالى من الكفار في هذه الآية، ولله المثل الأعلى كأن تقول لأحدهم: هل تريد أن تدخل النار؟ لأن الأمر في منتهى البساطة.. هل تريد شيئًا آخر؟

ولم أرَ في حياتي أعجب من هذا المخلوق الذي يتشوق لدخول النار قدر هذا المخلوق الآخر الذي يتدخل في الحوار بين الله وهؤلاء الناس، ويقول: لكني أرى أن لا يدخلوا النار.

سبحان الله! {وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}[الكهف: ٥٤].

مخلوق يريد أن يدخل النار وخالق سيطرحه فيها، ومخلوق ثالث ليس له حكم في هذا الأمر ولا صفة يحشر أنفه بين الخالق وخلقه ويقول: أنا من رأيي كذا وكذا.

هل ترى ما لا يراه خالقك؟ أم تدعي أنك أرحم بخلقه منه وتعتدي بجهلك على صفات خالقك؟؟

فلا عجب إن صرت يومًا مثلهم تطلب دخول النار، ثم تكب على وجهك فيها معهم حتى تتأكد بنفسك إن كانوا يستحقونها أم لا.

أتشك في عدل الله؟ أم تشعر أنك أعدل منه؟؟

فاعلم يقينا أن الله لا يظلم مثقال ذرة {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٠].

الله سبحانه وتعالى هو العدل الْمُطلق وقادر على العدل بمثقال الذرة، ومع ذلك يُعامل عباده برحمته! {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الأنعام : ٥٤].

فالنار لمن يستحقها فقط، فلا تخف ولا تجزع فربك أرحم بعباده من الأم بولدها.

فقلوب العباد مختلفة وكل قلبه له مدخله؛ هناك مَنْ يعبد الله لأنه يحبه فقط، وهناك مَنْ رأى عظمة الله فبدأ يعبده، وهناك مَنْ يعبد الله خوفًا من النار.

فإن كنت تحب الله حقًّا ويدفعك هذا الحب لفعل الصواب؛ فأبشر وأحسن الظن بربك أنك لن تكون من أهل النار.

أما إن كنت تعصي الله وتقول: أنا أحب الله؛ إذًا لا بد أن تخاف يا صديقي فلا يُغضِب أحدٌ مَنْ يحبه، فإن خفت فهذا يعني أن معصيتك هذه كانت من جهلك وضعفك وليست من كبرك وعنادك، وحينها يكون خوفك هذا فيه نجاتك، فالحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه يقول: (وعزَّتي وجلالي، لا أجمعُ لعبدي أمنين ولا خوفين، إنْ هُوَ أمِنَني في الدنيا أخفتُهُ يومَ أجمعُ عبادي، وإنْ هو خافني في الدنيا أمَّنْتُهُ يومَ أجمعُ عبادي)

[الألباني، صحيح الجامع (٤٣٣٢)، حسن].

لو خفت في الدنيا فهذا معناه أنك تحب الله بالفعل وتخاف من غضبه عليك ولا تتعمد أن تعصيه وستحاول إصلاح ذلك الخطأ، أما إن كنت تعصي الله ولا يوجد عندك ذرة خوف فأسأل الله أن يُسلِّمك.

نتيجةً لما سبق أدركت أن إرادة وحكمة الله في أن يخلق مخلوقًا حرًا في تصرفاته اقترنت واكتملت بعدل الله بوجود مبدأ الثواب والعقاب على تلك التصرفات.

بمعنى: وجود مخلوق حر بدون ثواب وعقاب هذا قمة الظلم، تخيل الذي أحرق ملايين الناس بأسلحة نووية يكون مثله مثل الذي أُحرق بها عند الله!

واختيار هذا المخلوق الحر للظلم ودخول النار يُسأل عنه المخلوق الحر نفسه: لماذا تفعل ذلك؟

ومسألة علم الله باختياره من قبل أن يخلقه هي من قدرة وعظمة الخالق، لكنه ليس إجبارًا للمخلوق على ذلك الاختيار، والدليل أن هناك مخلوقًا مثله بالضبط استطاع أن يختار أن يكون مع الحق.

فالله لم يخلقه ليدخل النار، بل خلق الله مخلوقًا اختار بإرادته الُحرة أن يدخل النار ويتحدى الله

ويسأله: أين النار؟

فلا تشغل بالك به كم سيُعذب.
أنت لست أرحم به من الذي خلقه.

بل انشغل فقط بألا تكون معه. أم أنك تريد أن تفعل مثله وتكون معه ولذلك لا يُعجبك الكلام؟

الفصل
الحادي عشر

استراحة لالتقاط الأنفاس



استراحة لالتقاط الأنفاس

ربي حكمت فقضيت أن يكون الإنسان حرًّا، فاعترض أحدهم قائلًا: لماذا لم يمنع الله الحروب؟!

فلما حكمت فقضيت بعذاب من تسبب في تلك الحروب، اعترض الآخر وقال: لماذا خلقت النار؟!

أشعر أني أقترب من

حقيقة
صفرية خامسة

«وهي كالآتي: أن كل ما يصل إليه الإنسان من تخبط وضلال يبدأ حين يتقمص هذا المخلوق الضعيف دور الإله وينسلخ من كونه عبدًا.»



يرى إرادته في الكون هي النافذة، وإرضاء غروره هو محور الكون، فيتركه الله لعقله فيهوي به أسفل السافلين.

فهمت الآية التي تقول: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]، كنت أظنها قاسية بعض الشيء، لكن الآن تعقلت، فأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه، ففيها راحة لهذا المخلوق وتوضيح لمهمته وإزاحة لما لا يطيق عن كاهله، فإذا انشغل بما خُلق له نجا وأفلح، وإن تدخل في ما لا طاقة له به هوى وترنح.

عَذرتُ الآن بعض مشايخي عندما كنت أسألهم عن بعض الأمور فيقولون: استعذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا تسأل ولا تفكر في مثل هذه الأمور.

حقًّا فهمت قصدهم، فهناك ما لا يسعه عقلك الآن ليس لوجود خطأ به أو خلل، ولكن لأنك في طور من الأطوار قد يُفسِد فيه مثل هذا السؤال عقلَك.

كطفل في المرحلة الابتدائية طلب من والده الطبيب أن يأخذه معه أثناء إجراء عملية جراحية لأنه لا يصدق أن والده يخرج القلب من الإنسان ثم يعيده فيه تارة أخرى ثم يعيش هذا الإنسان.

وكلما قال الوالد لطفله: لا يمكنني اصطحابك، ولا يمكنني أن أشرح لك، ولا تطلب ذلك مرة أخرى.. زاد عناد الطفل، وقال لأبيه: إذًا أنت كاذب!

فلما فرغ صبر الأب فتح لابنه مقطعًا على اليوتيوب ولم يأخذه معه في الحقيقة حتى، وأراه عملية القلب المفتوح، فإذا بذلك الطفل يُصاب بالهلع وبالمرض النفسي، وإذا به لا يستطيع النوم ليلًا أبدًا حتى انهارت قواه وهلك.

ولا أقصد بهذا المثال أن لا نسأل أو نلغي إعمال العقل، أبدًا والله، بل كل ما أردته أنك بعد إذ آمنت بخالقك وفهمت بعض الحكمة من الأشياء فهنيئًا لك.

وإن لم تفهم فلا تنشغل بما لا تطيق، فقط ثق بأن لك ربًّا يحبك يدبر أمرك وأمر كل خلقه بشكل لا تستطيع حتى أن تتخيله، وامضِ في رحلتك واقترب أكثر من خالقك حتى تضح لك بواطن ما ووري عنك لصالحك، ولا تقرر أن تبتعد حتى تفهم كل شيء، فأنت حينها كهذا الطفل الذي اتهم أباه بالكذب لمجرد أنه لا يفهم، بل والأكبر من ذلك أنه لم يثق في كلام والده.

فاحذر أن تكون ممن لا يثق في كلام خالقه، وإلا فصدقني ستتعب كثيرًا **حين تعلمك الدنيا درسًا درسًا. فتثق في النهاية أو تهلك دون ذلك كما هلك ذلك الطفل.**

أعتذر إليك رفيقي إن كان كلامي يبدو حادًا فلم أكن أقصد ذلك، فتلك اللحظة التي وصلنا إليها الآن حركت بداخلي خوفًا سأخبرك سببه، فلقد بنينا سويًا تلك الحقائق الخمسة، نقف على تلك الأرض الصلبة ثابتين قد تحسن حالنا كثيرًا عما كنا فيه من التيه، فبدأ يتسرب إليَّ إحساس بالنجاح وأننا وصلنا لما نريد، وهذا ما يخيفني

حقًّا؛ لأنني في حياتي لم أصل لهذا الشعور بالنجاح والأمان إلا وسقطت، أما عندما أكون خائفًا حَذِرًا من السقوط استقمت وتقدمت.. دعنا نضفها بسرعة الآن.

كحقيقة صفرية سادسة: ليس في الدنيا وصول

بل اختبار حتى النفس الأخير، هلك فيه من ظن أنه نجح، وفاز فيه من كان حَذِرًا خائفًا من السقوط.

لذلك فإني أخاف الآن من أن أنقلب على عقبي في ليلة وضحاها، فلا يوجد ما يثبتني على هذا، بل قد يحدث في أي لحظة أمرٌ لا أستطيع تحمله قد يعصف بكل معتقداتي وكل ما آمنت به.

تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) [صحيح مسلم (١١٨)].

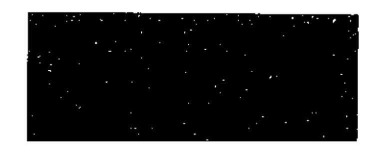
نعم بالفعل أنا في هذه المرحلة.. كلما تعمقت في العلوم والبحث اتضح لي حجم جهلي وهوان عقلي، أنا هذا الذي قد يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

الفصل
الثاني عشر



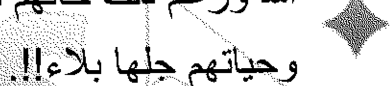
لماذا العبادة؟





لماذا العبادة؟

آن أوان أن أفهم الحكمة والغرض من العبادة التي على ما يبدو قد يكون لها نفع كبير فاتني ولم أدركه بعد، فالعبادات التي نقوم بها كالصلاة والصوم والحجاب وقراءة القرآن، كانت بالنسبة لي ما هي إلا فروض نفعلها فنرتقي بها درجات في الجنة، لكن -أستغفر الله- ليست لها أي فائدة في الدنيا، فهناك الكثير ممن يعبدون الله ورغم ذلك حالهم سيئ والعبادة لم تفدهم بأي شيء



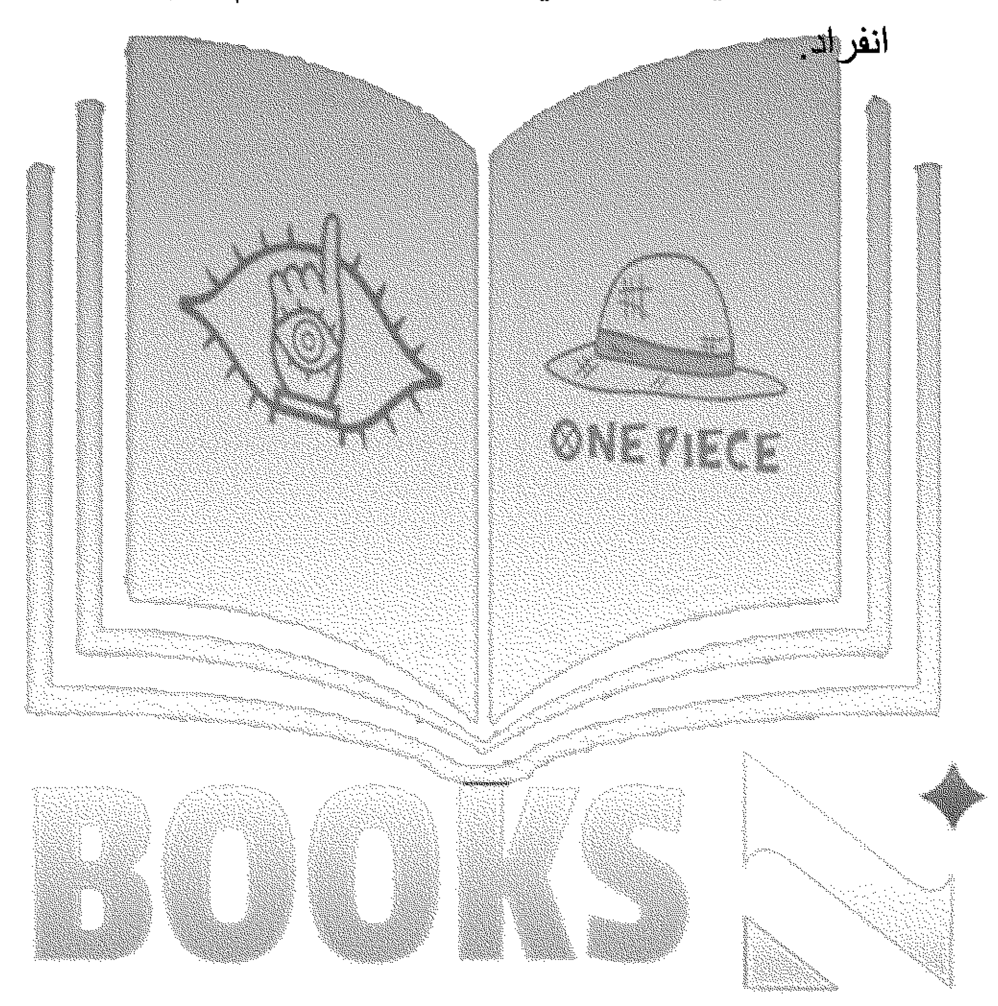
وحياتهم جلها بلاء!!.

بل وهناك من يعبد الله ليل نهار وعندما ترى معاملته مع الناس أو مع أهله تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

كما أن هناك الكثيرين ممن لا يعرفون لله حقًا ومع ذلك فهم على ما يبدو في أحسن حال: ناجحون في أعمالهم، مفيدون لمجتمعهم، ودودون ولطفاء للغاية.. وبدون أي عبادات تمامًا، فهل سيدخلون النار، وهذا الذي يرتكب كل ما هو محرم يدخل الجنة فقط لأنه يصلي؟!.

> **"يبدو لي أن تلك الأعمال هي وسيلة لشئ آخر ولهذا بدا منطقيا أكثر أنها في حد ذاتها لا تنفع الخالق ولا تضره"**

بل إن للعبادة غرضًا آخر وأثرًا أكبر، حتى أصل إليه كان عليَّ أن أدقق في معنى كل عبادة منهم على انفراد.



الفصل
الثالث عشر

الصلاة

ONE PIECE

BOOKS



الصلاة

فصلاة خمس مرات في اليوم تجعلك تترك أي شيء كنت تفعله مهما كان، وتتذكر أن هناك الأهم منه، تنزعك من عملك وأهلك وتقطع عليك راحتك.

كان تأثيرها مرهقًا للغاية حين قررت تجربة هذه العبادة مما جعلني أتساءل أصلًا عن سبب وجود الصلاة، وما الذي أضافته لنا؟ وماذا سأخسره إن لم أصلِ؟

فأنا حياتي تسير على ما يُرام، ولطيف جدًا مع الناس، ويحبني كلُّ من حولي، كما أني أقوم بخدمتهم أيضًا وأفعل الخير كثيرًا.. وكنت أبحث فقط عما يثبتني أمام نفسي وعقلي حين يخدعني.

لكن لماذا يجب أن أصلي حتى أكون صالحًا عند الله؟

ولماذا يوجد موعد محدد للصلاة؟ يعني لماذا مثلًا لا تكون في آخر اليوم عندما أتفرغ أقوم فأصلي ركعتين خفيفتين أناجي بهما ربي، وتكون الأمور أيسر من ذلك؟

لماذا يجب دائمًا أن أترك ما في يدي وأقوم لأصلي؟

أو أكون نائمًا وأستيقظ؟

حتى وأنا مريض يقولون لي: صلِّ وأنت جالس!

أقول لهم: لا أقدر لأني مريض.

يقولون لي: صلِّ وأنت نائم بعينيك.

أصلي بعيني! لِمَ هذه الأهمية القصوى؟

والله أنا لست معترضًا على الصلاة في حد ذاتها، فالصلاة جميلة جدًا وعبادة تقربني من الله، لكني ما زلت غير قادر على أن ألتزم بها خمس مرات في اليوم، وهذه هي مشكلتي أساسًا، فلماذا إن تركتها أصبح بعيدًا عن الله؟!

كما أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول:
(العَهدُ الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ، فمَن تركَها فَقد كَفرَ)
[الألباني، صحيح الترمذي (٢٦٢١)، صحيح].

ألهذه الدرجة أنا بعيد عن الله؟!

بالتأكيد هناك شيء أنا لا أفهمه، فبحثت في المصحف ووجدت: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} [العنكبوت: ٤٥]، فازدادت حيرتي أكثر: كيف ذلك؟! ما العلاقة بين الصلاة وترك فعل أي شيء حرام؟! فترك الحرام والتحكم في قلبي و شهوتي والثبات على ما وصلت اليه هو حقًّا ما كنت أبحث عنه، لكن ما علاقة الصلاة بذلك؟

بل وتعجبت أكثر عندما سمعت حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول لسيدنا بلال: (يا بلال! أَقِمِ الصلاةَ، أَرِحْنا بها) [الألباني، صحيح الجامع (٧٨٩٢)، صحيح]، بالتأكيد سيدنا محمد لم يكن يبالغ والأمر بالنسبة له كان مريحًا بالفعل، لكن وقتها الكلام سيكون عن شيء آخر غير الصلاة التي أعرفها، فالصلاة التي أعرفها هي بالتحديد ما يقطع راحتي وليس العكس.

كما أن هناك آية في القرآن تقول: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}[البقرة: ٤٥]، بمعنى أنه من المفترض أن هناك شيئًا معينًا أستطيع أن أستعين عليه بالصلاة، والصلاة التي أعرفها لا يوجد فيها ذلك.

وهذا ما جعل قرار كثير من الناس أن يتركوها لأنها تقتطع من عملهم أو راحتهم، فقرروا أن يؤجلوها بعض الشيء حتى يتمكنوا من أدائها متفرغين لها عند راحتهم، وكانت هذه بداية الإجابة بالنسبة لي.

فمنهم من لم يتفرغ منذ عشرين سنة، ومنهم مَنْ مات وهو لم يتفرغ بعد؛ لأنه استغل وقته في أشياء أخرى كانت أهم بالنسبة له، فمواعيده في العمل كانت دقيقة جدًا؛ لأن العمل أهم بالنسبة له، وتجمع الأصدقاء كان منتهى سعادة الدنيا وبالذات في مشاهدة مباريات كرة القدم، وكان هناك وقت لمهاتفة الحبيب لحبيبه بالساعات.

نحن بالفعل استطعنا أن نُعطي كل الأشياء حقها وخصوصًا الأشياء التي نحبها أعطيناها حقها وزيادة؛ ولذلك لم نجد وقتًا، فنحن استغلينا وقتنا أحسن استغلال في الأشياء التي كنا نعيش من أجلها والتي كانت الصلاة كفيلة لتذكرنا دائمًا بأنها ليست هي الأشياء التي خُلقنا لأجلها من الأساس، أنت هنا لتتعرف على خالقك وتحبه فيرزقك نعيمًا لم يعطِه لمخلوق غيرك، والصلاة خمس مرات كل يوم لتذكرك بهذا، خمس فرص في ظروف مختلفة تمكننا من أن نحدد ماذا نحب أكثر.

ونحن بالفعل حددنا!

وأعتقد أنها كانت رسالة واضحة جدًا منا لله، وكأننا نقول: شكرًا لك، فنحن نعلم جيدًا كيف نتصرف!

فيقول الله عز وجل لِكلِّ واحدٍ منا:

-هل تريد أن تطلب أي شيء في الصلاة؟

=لا لا يا رب، شكرًا.

-هل تحب أن تكلمني؟

=بالطبع أحب يا رب، لكن أنا حاليًا أكلم شخصًا آخر.

-هل ستتقرب إليّ كما أردت منك حين خلقتك؟ فلو سجدت الآن سأكون قريبًا منك جدًا.

=أنا أعتذر حقًّا لأني حاليًا مشغول.

-هل لك حاجة في الدنيا أقضيها لك؟

=لا، أنا سأكلم فلانًا وأطلب منه قضاء المصلحة.

أنت إذًا لا تحب خالقك!!

كلا بالطبع أحبه، وأكثر من أي أحد.

أنت تخدع مَنْ؟ تخدع نفسك؟ أم تخدع خالقك؟!

إذًا فلتعلم أن أول ما ستحاسب عليه هو الصلاة، وستكون أسعد لحظات الذي يُلقي همومه عندي ويحبني حقًّا ليس مُدَّعيًا أو مُخادِعًا، يحبني فيلبي ندائي.

أما بالنسبة لمن خلقته فأحب غيري أكثر مني ووهب وقته لمن لا يملكه واستغنى به عني، فأتركه لما أحب وأراد حتى يخرج منها ويأتيني صِفرًا أحاسبه على ذلك.

اتضح لي أن الأمر أكبر بكثير من تخيلي لفكرة الصلاة، اكتشفت أن ترتيب الأشياء التي أحبها كان ترتيبًا خاطئًا. وأني لم أسأل أبدًا هذه الأسئلة تجاه **الأشياء التي أحبها!**.

لم أقم أبدًا بحساب الوقت الذي أقضيه مع أصدقائي، لم أسأل أبدًا لماذا أشاهد هذا المسلسل بشكل يومي رغم التزامي وحرصي الشديد على متابعته.

أعتقد أن طبيعتي هذه كفيلة بأن تحدث لي خللًا رهيبًا في توازن حياتي ينتج عنه لاحقًا انقلاب على مُسلَّماتي وحقائقي الصفرية التي وصلت لها، وهذا بالتحديد ما أخاف منه.. أفكاري التي وصلت لها دون أن أتعلق بمصدرها كيف سأثبت عليها وأحارب الفتن التي حولها وأنا أقضي كل وقتي بينها..

مستسلمًا لرونقها الخدَّاع؟!!

الآن قررت أن أنتظم في الصلاة حتى أرى إن كان لها أثر على حياتي وثباتي أمام كل تلك التقلبات والمتغيرات والأفكار أم لا.

وسأخبرك بقصتي مع الصلاة، فهي والله من أغرب ما عايشت في حياتي كلها..

بدأت القصة بمأساة حقيقية عندما قررت أن أنتظم في الصلاة فوجدت أني لا أستطيع ذلك، أقصى ما كان يمكنني فعله أن أنتظم في الصلاة لمدة نصف يوم، بمعنى أنني لو صليت الظهر والعصر لا أصلي المغرب والعشاء، ولو أنبني ضميري ليلًا وصليت المغرب والعشاء لا أستطيع أن أصلي الظهر والعصر، أما الفجر فكان بالنسبة لي نوعًا من أنواع الخيال العلمي الذي لا أفكر فيه من الأساس.

بقيت على هذا الحال فترة حتى سمعت يومًا حديثًا عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: (مَن صلَّى للَّهِ أربعينَ يومًا في جماعةٍ يدرِكُ التَّكبيرةَ الأولَى كُتِبَ لَه براءتانِ: براءةٌ منَ النَّارِ، وبراءةٌ منَ النِّفاقِ) [رواه الترمذي (٢٤١) وصححه الشيخ الألباني]، بمعنى أن الذي سينتظم أربعين يومًا يُصلي فيهم كل الصلوات في المسجد من أول تكبيرة الإحرام؛ لن يدخل النار، ولن يدخل النفاق قلبه.

مكسبان مهمان للغاية يتضمنان الثبات الذي كنت أبحث عنه.

فتعجبت وقلت: كيف ذلك؟!

فأول ما فكرت به أن أصلي أربعين يومًا وبعد ذلك لن أصلي مرة أخرى!

دخلت لأتأكد من صحة الحديث فوجدت الحديث رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني.

ما المانع إذًا أن أنتظم فقط أربعين يوم آخذ منهم الثبات الذي أريده، ثم بعد ذلك أصلي أو لا أصلي حسب وقتي وراحتي؟

بدأت بالفعل.. وكانت صعوبة التجربة تَهون وتَصغر أمام عيني كلما ذكَّرت نفسي أن المدة هي أربعون يوم فقط، أربعون يوم وبعدها حرية تامة، فلو تعارض وقت الأكل مع وقت الصلاة أترك الطعام وأهرول إلى المسجد ثم آكل بعد ذلك، لو أردت النوم وسمعت الأذان أذهب إلى المسجد أولًا ثم أنام بعدها.

حتى عندما كنت مع أصدقائي في أشد الأوقات مُتعةً ولعبًا أتركهم عند الصلاة وأذهب إلى المسجد منفردًا.

كان الاختيار بين أي شيء أقوم به وبين الصلاة يذهب لصالح الصلاة.

بدأ الناس يظنون حينها أني متدين، فلم يكن أحدهم يعلم أني كنت أفعل ذلك حتى لا أصلي بعد ذلك!

ظللت لمدة ستة عشر يومًا بهذا الشكل إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان.

أذكر ذلك اليوم كأنه بالأمس.. كانت صلاة مغرب وكان إمام المسجد على عجلة من أمره فأقام الصلاة قبل موعد الإقامة بخمس دقائق، فلما دخلت المسجد وجدتهم يصلون، شعرت بقشعريرة باردة أسفل عنقي، ركضت إلى مسجد آخر كنت أعرف أنهم دائمًا ما يقيمون الصلاة متأخرًا، ولكن يا للأسف! فعندما وصلت كانوا في الركعة الثانية، صليت معهم وانهرت في البكاء، ليس لأنه فاتتني تكبيرة الإحرام، بل لأني سأُعيد الأربعين يومًا من البداية، وكله بسبب هذا الإمام الذي أقام الصلاة مبكرًا خمس دقائق!!

فكرت أن أترك هذا الأمر فهي تجربة صعبة للغاية، فقد تخليت عن كل ما أحب في هذه الأيام الماضية، لكني كنت أكره الفشل، ثم إن هذه التجربة سيترتب عليها نظام سأستمر به في ما بقي من عمري.

قررت أن أحاول مرة أخرى كتجربة أخيرة إذا نجحت فأنا الرابح الأكبر وإذا فشلت فلا بأس.

بدأت بالفعل.. واستمريت في هذه المرة محافظًا عل الصلاة في الصف الأول خلف الإمام لا تفوتني تكبيرة الإحرام، حتى جاء اليوم الرابع عشر.. كنت أحسب الأيام بدقة وأكتبها في ورقة وهذا ما يجعلني أتذكرها الآن.. استيقظت لصلاة الفجر في هذا اليوم وإذا بعطل في المياه يقطعها عن البيت، بحثت عن ماء للوضوء في المنزل فلم أجد، بحثت كثيرًا حتى استطعت أن أتوضأ وأذهب للمسجد، ولكن كانت الصلاة قد أُقيمت!

لو كنت مكاني ماذا كنت ستفعل؟ لأن أقصى ما يمكنك تخيله عن ردة فعلي حينها سيكون مغايرًا لما حدث، فأن أترك الأمر أو أحاول مرة أخرى هما الخياران البديهيان أو قد تحدث نتيجة عكسية غير متوقعة كأن أترك الاعتقاد في الحقائق التي وصلت لها وأن أفقد الثقة في حل الصلاة.

لكن ما حدث حينها كان بالنسبة لي أعجب من العجب، حتى أنني كنت لا أعرف كيف صارت نفسي كذلك، ولم أعد أتذكر أصلًا كيف كانت نفسي وأفكاري قبل تلك اللحظة، وكأني عندما أحكي عنها فأنا أتحدث عن شخص آخر لا أعرف كيف كان يفكر أو كيف كان منطقه.

ففي تلك اللحظة كنت قد أتممت ثلاثين يومًا لم أترك فيهم صلاة المسجد غير مرتين، هاتان المرتان اللتان وصليت فيهما متأخرًا، ثلاثون يومًا أقف في منتصف الصف الأول في أي مسجد أدخله.. ثلاثون يومًا لم أرَ فيهم شخصًا أمامي في المسجد كانت القبلة أمامي.. القبلة وفقط.

في هذه الثلاثين اكتشفت أشياء لم أكن أعرفها عن نفسي:

- اكتشفت أنه باستطاعتي أن أنام قبل الفجر بثلث ساعة ثم أستيقظ لأصلي الفجر بشكل طبيعي جدًا، وكان هذا عكس طبيعتي السابقة تمامًا فقد كان نومي لا يقل عن ثمان أو تسع ساعات لا أستطيع أن أتحرك أو أستمع لشخص خلالها مهما كان السبب.

الأكل لم يعد ملفتًا بالنسبة لي كما كان سابقًا، بل لم يعد أولوية أصلًا في حياتي، حتى إني كنت أجلس طوال اليوم دون أن أفكر في الأكل ولا يدخل منه شيء في جوفي ما لم يذكرني أحدٌ بذلك أو أجد ألمًا في معدتي من قلة الأكل.

أصبحت قادرًا على أن ألتزم بأي موعد في حياتي بشكل عام وليس فقط في الصلاة، وهذا ما كنت أظنه مستحيلًا حقًّا، فقد كان التأجيل والتسويف عادتي التي لا مفر منها ولا أقدر على تغييرها مهما حاولت.

لكن الآن أصبحت مسيطرًا على نفسي بشكل أبهرني أنا من نفسي حتى صرت والله كأني لا أعرفها، صرت المتحكم فيها تمامًا، وأفعل فقط ما أريد عندما أريد.

نظرت إلى حالي في خلال الثلاثين يوم وإلى حالي قبلهم؛ فوجدت أني في الثلاثين يوم كنت أفضل وأقوى وأنجح بكثير في كل شيء.

ما هذه الحياة ! وما هذه القوة ! وما هذا الثبات ! وفي ثلاثين يوم فقط !! ماذا لو أكملت حياتي هكذا؟.

سأصبح شيئًا أقوى بكثير.. شيء حتى لا أستطيع تخيله.

أين هذا الشخص الذي كان يريد أن يجرب في البداية؟ لا أعرف.

أين هذا المهتز الذي كان الشك يعتريه كل ليلة؟ فأنا لا أجده.

يا لله! حقًّا هو حبل الله المتين.

فهمت لماذا الصلاة.. فهمت لماذا كل يوم.. فهمت لماذا خمس مرات.. وجدت في الصلاة قوة إلهية عصفت بحياتي البائسة، وأبدلتني حياة مختلفة هي والله حلم كل إنسان حي.

الآن أحببت أن تكون حياتي كلها حتى آخر رمق لي بهذا الشكل، وبدأت في المحاولة الثالثة..

سأعد أربعين يومًا من الصفر ليس لأتوقف بعدها كما كنت أفكر قبل ذلك، بل متشوقًا لأدخل في هذا الحديث العظيم الذي سمعته ثم لأبقى عليه ما حييت، وتعلمت من أخطائي السابقة، فقررت بدلًا من الذهاب للمسجد قبل موعد الإقامة أن أذهب قبل موعد الأذان، يؤذن الأذان وأنا في المسجد، وليريني هذا الإمام الذي تعجل ذات مرة وأقام قبل موعد الإقامة كيف سيقيم الصلاة قبل أذانها.

بدأت العد مرة أخرى.. يوم يمر تلو الآخر حتى وصلت لليوم التاسع والثلاثين.. يا إلهي! كان قلبي يخفق بشدة حتى أني كنت لا أصدق: هل سأعيش للغد؟! كانت قمة طموحي في الدنيا وقتها أن أعيش ليوم واحد فقط، ولا أصدق أني سأعيش إلى ذلك اليوم، كنت خائفًا للغاية فبالتأكيد سيحدث لي شيء ما، فيستحيل أصلًا أن ينطبق عليَّ هذا الحديث، فقد كانت نيتي سيئة أصلًا عندما بدأت التجربة، كنت أنوي أن لا أصلي فيما تبقى من حياتي.. كنت أجرب فقط.. كنت لا أثق تمام الثقة.

والآن هل يغفرها الله لي؟!

أَعَفُوهُ عَظِيم لهذه الدرجة؟!

أُسيئ بجهلي لهذا الحد وأشك في نظامه وأسأل متكبرًا: ما الفائدة منه؟ ثم يعيدني إليه برفق ويبصرني بجهلي، ثم يغفره لي ويقبل ما كان مني؟!

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

أكملت اليوم الأربعين واليوم الواحد وأربعين والاثنين وأربعين.. وأذكر أني وقتها استمريت في العدّ إلى أن وصلت إلى مئتا يوم، وبعد ذلك توقفت عن العد، لم أتوقف عن حضور تكبيرة الإحرام في المسجد توقفت عن العد فقط.. قلت أيًّا كان الرقم الذي أصل إليه فلا أريد أن أعرفه هو بيني وبين الله.

كانت سعادتي عندها لا توصف، وكانت فترة من أجمل ما حييت في حياتي، تشعر كأنك قد ملكت الأرض، وكأن الله قد سخر البشر والحجر والشجر لخدمتك.

لكن -للأسف- هذه ليست هي نهاية القصة، ولا بد أن أكمل القصة إلى نهايتها لكي يعتبر بها من يقرر أن يخوض نفس التجربة يومًا ما، فلا يرتكب نفس الخطأ الذي ارتكبته بعد ذلك، وأظن أنه لم يكن خطأً واحدًا بل كانوا عدة أخطاء.

أولهم: أني كنتُ ذات مرة جالسًا مع صديقي، وكان يحكي لي كم أن حياته مضطربة ويشعر أنه بعيد عن الله ويتمنى أن يستطيع المحافظة على الصلاة.

رأيت فيه نفسي التي كادت تُهلكني قديمًا.

وكان ردي عليه أنه بالنسبة لي -الحمد لله- موضوع الصلاة منتهٍ ولا توجد فيه أي مشاكل، ولو أريد أن أتقرب إلى الله فسأبدأ التفكير في العبادات الأخرى.

وهذا كان الخطأ الأول عندما ظننت أن الذي وصلت إليه كان بمجهودي، وأنه أصبح شيئًا مضمونًا.

حينها وثقت في نفسي وخالفت الحقيقة الصفرية الثانية أن لا أثق في نفسي وعقلي وأتكل عليهما ما حييت فبهما ضعف لا يجبره إلا التوكل على الله والثقة في رحمته.

أما الخطأ الثاني: فحدث لما كنت أبيت مع أصدقائي ذات ليلة، وجلسنا نتسامر حتى الفجر، ثم قرر أحدهم أن ينام قبل الفجر بربع ساعة، تعجبت منه وقلت بيني وبين نفسي: كيف يفعل ذلك؟! هل هناك من ينام قبل الفجر بربع ساعة!! لماذا لا يصلي ثم ينام؟؟ فلا يوجد أسهل من ذلك، فهو يفعل ذنبًا غريبًا من السهل عليه جدًا أن يتجنبه.

كان هذا خطئي الثاني .. أني نظرت لصاحب الذنب وشعرت أني أحسن منه وأني لن أفعل هذا الذنب أبدًا، ونسيت ما كنت عليه قبل ذلك لما كنت لا أفكر في الفجر أساسًا.

لقد دمرت الحقيقة الصفرية الثانية.. نسيتها تمامًا.

فتعلمت حينها ما الذي سيحدث لي إن غفلت عن إحدى تلك الحقائق، فما حدث كان درسًا قاسيًا للغاية، فمع مرور الوقت ابتلاني الله بأن أتعامل مع الصلاة كما يتعامل معها الكثير من الناس؛ وهو أن الصلاة عبارة عن شيء نقوم به بسرعة وسط يومنا ولا تعطلنا عن أي شيء، هي مجرد خمس دقائق، هل تستكثر خمس دقائق؟!

أدخل وأخرج من الصلاة ولا أتذكر أي شيء مما قلته فيها وبدون أدنى درجات التركيز!

يبدأ شلال الأفكار في التدفق مع بداية الصلاة ولا يتوقف إلا بانتهائها، والمشكلة أنه بالفعل خارج عن السيطرة، حتى صرت لا أعرف من أين يأتي الناس بالخشوع؟!

يا ربي ما أشد هذا البلاء!!

هل عليَّ أن أمسك قلبي وأقول له قبل الصلاة: اخشع؟!! بالطبع لم يكن ذلك ممكنًا.

ظللت فترة طويلة على هذا الحال حتى بدأت أفكر جديًّا في ترك الصلاة، لأنها ليست مجرد حركات أؤديها خلال يومي وفقط!

أخاف أن يُعذبني الله على هذا الإهمال والطريقة التي أقف بها أمامه، فهل من الأفضل ألا أصلي حتى أتمكن من التركيز بنسبة مائة بالمائة وأعطي الصلاة حقها؟ فقد عادت الصلاة ثقيلة مرة أخرى بل أخاف أن يكون مجهودًا بدون فائدة.

إلهي! أريد حلًا، وأعتذر عن ما بدر مني.. فلما قبلتني بعد ضعفي وأكرمتني نكثت عهدي مرة أخرى، وصار عقلي غير قادر على أن يفكر فيما أقوله في الصلاة.

دعوت الله كثيرًا حتى يلهمني ما عليَّ فعله، ثم بدأت أتخيل عقلي من الداخل منذ أن يستيقظ من النوم وينهال عليه شلال الأفكار؛ يفكر في العمل والرزق، ثم ماذا سيأكل ويشرب اليوم، يبدأ عقلي منذ لحظة الاستيقاظ بإجراء حسابات كل شيء، وتبدأ أعصابي في الاحتراق بسبب المشاكل والمسؤوليات.

أعتقد أن الحل أن أنزل هذه المسؤوليات عن كاهلي، أحتاج لأن أعيد ترتيب علاقاتي فهي ليست بحال من الأحوال أهم من علاقتي بخالقي القادر على أن يقوم بحل كل أموري بأبسط مما أتتخيل.

كيف نسيت أن الصلاة هي التي رتبت لي كل شيء من الأساس؟!

نسيت لما ظننت أني حافظت على صلاتي مهارة وقوة مني، فذكرني الله بأن هذا ليس صحيحًا.

كان التذكير مؤلمًا وطويلًا وتعلُّم الدرس شاقًا لما اكتشفت أني أصبحت ضعيفًا مرة أخرى.. ضعيف لدرجة أني لم أعد قادرًا على أن أقف عكس الدوامة.

ارتعبت من فكرة أن أفقد الصفر مرة أخرى، سأخبرك ما الذي أعنيه بأن أفقد الصفر..

هل تذكر جيدًا هذه الحياة التي كانت جحيمًا؟ منطقة السالب هل تذكرها؟؟ الحياة التي تحدثت عنها في أول

الكتاب، تلك التي تبذل فيها مجهودًا جبارًا دون فائدة.. تركض فيها كما الوحوش في البرية لتكتشف أنك كنت تدور في دوائر مغلقة.. حياة ليس بها خط مستقيم أصلًا لترى فيها نقطة الصفر فتنطلق في طريق مستقيم.. وهذا ما أعنيه بأن أفقد الصفر، لا وجود لخط مستقيم، فلا صفر للبداية، ولا وصول فيها ولا نهاية، بل عذاب ونكاية.

تجرعتُ الدرس عَلْقَمًا.. ولكن الحمد لله على كل حال.

سأبدأ من الصفر مرة أخرى حتى لا أفقده..

سأضع حقائقي الصفرية نُصْب عيني.. وسأبدأ من جديد مع الصلاة كما لو كانت أول صلاة لي.. كما لو كنت لم أصل يومًا .. سأنسى الأربعين يومًا، وهو أمر لو تعلمون كم شق عليَّ ومزق قلبي لأشفقتم على حالي.

سأضع الصلاة في موضعها عبادة شاملة كاملة تبدأ بالوضوء الذي يجب عليَّ أن أقطع صلتي بالدنيا تمامًا أثناء قيامي به.. ثم أمشي للمسجد خطوات كثيرة لا أفكر فيها إلا في الآخرة وفي لقاء الله وحسب.. ثم أدخل المسجد مبكرًا لأصلي السنة كمقدمة أني بعد قليل سأقف أمام الله في الصلاة المفروضة.. ثم أبدأ بعدها في صلاتي التي كتبها الله عليَّ بكل جوارحي؛ لأصل للمعنى الحقيقي للصلاة، المعنى الذي افتقدته كثيرًا.. ثم بعد أن أنتهي منها أجلس لأختم الصلاة اعتذارًا مني على تقصيري فيها وخوفًا من عدم قبولها.

سأترك هذه الصلاة التي هي خمس دقائق وسط عملي أو خمس دقائق وسط دراستي، المهم أنها وسط أي شيء أفعله، فأجلس طوال الصلاة أفكر في هذا الشيء الذي كنت أفعله وسأعود لإكماله بعد الصلاة!

فالصلاة التي فيها راحتي وقربي من خالقي لا يصح أن تكون مجرد خمس دقائق وسط عملي، الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر بالتأكيد ليست هي الصلاة التي صرت أكرر فيها نفس قصار السور في كل مرة.

الصلاة التي كانت تعينني على أمري كما في الآية {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}[البقرة ٤٥] بالتأكيد هي الصلاة التي تكون عبارة عن أساس يومي وليست فروعه.

الصلاة التي قال عنها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ) [صحيح مسلم (٢٥١)]، بمعنى أن أصلي وأجلس منتظرًا ومستعدًا للصلاة التي بعدها، هذه الصلاة لا يصح أن تكون شيئًا فرعيًّا في يومي.

الآن سأعود مجددًا لأعيش من أجل الصلاة ومن أجل خالقي، فأنا هنا من أجل هذا، ولست هنا لأفعل تلك الأشياء الأخرى ثم أضع بجانبها الصلاة.

حينها فقط ظهرت قوة الصلاة وأهميتها في حياتي، مرة أخرى سأدون هذه الحقيقة الصفرية الجديدة حتى لا أنساها.

>> وأسميت تلك الحقيقة السابعة: الصلاة.. فقط هكذا ليس بها أي شرح أو توضيح >>

الصلاة في حد ذاتها حقيقة صفرية بدونها يفسد الأمر كله، ولا نجاة إلا بها مهما فعلت، والهلاك كله في تركها.

فهي تُربيك وتُربي بداخلك أدبًا مع خالقك أنه إذا أمرك أطعت، وإذا ناداك أجبت مهما كانت المعوقات.

فتعطيك تحكمًا ذاتيًا على قلبك، وتثبتك إذا اشتدت الفتن، وتوصلك إذا تقاطعت الطرق، فتبقيك على الصراط المستقيم، فوالله كانت من أغرب ما جربته ومررت به في حياتي حتى أصل لتلك الحقيقة التي لا جِدال فيها.



الفصل
الرابع عشر

ماذا بعد الصلاة؟



ماذا بعد الصلاة؟

صيام وحج وزكاة.. سهل فهمهم والحمد لله، فبعد تجربة الصلاة كان إدراك فوائد العبادات والحكمة منها هو ما أحب فعله، فمع كل عبادة أرى ما فيها من انعكاس على حياتي، فأخرج منها بنتائج مختلفة.

سأخبرك أمرًا رائعًا.. هل تعلم أن انعكاس العبادة على الإنسان يختلف من شخص إلى آخر؟

فصيام الفقير مثلًا يربي فيه بعض الجوانب ويصلحها، تختلف تمامًا عما يربيه الصيام داخل الغني، بل وقد يربي فيك الصيام والصلاة أمورًا، ثم تُصلح لك بعد ذلك أمورًا أخرى تختلف عنها تمامًا.



نظام دقيق أنشأه الخالق يصلح به حال كل إنسان في أي زمان ومكان، وينجح به كل مجتمع، غير أن هناك من يساوره الشك دائمًا في فائدته.

أذكر صديقًا لي أخبرني ذات مرة أنه عندما ذهب لأداء العمرة لأول مرة لم يشعر بأي شيء مما يحكي عنه المسلمون عند رؤيتهم للكعبة لأول مرة، بل وأحس عندما رأى الناس يطوفون بالبيت الحرام أنهم لا يختلفون بحال من الأحوال عن من يعبد الأصنام، فكانت الكعبة بالنسبة إليه حجارة يطوف حولها جَمعٌ من الناس، فما الفرق بينهم وبين من كان يعبد الأصنام؟! فقد كانوا يعبدونها أيضًا لتقربهم من الله.

حين سمعت كلامه فهمت حينها كيف أن الشيطان يأخذ كل واحد منا لوادٍ بطريقة مختلفة، فأنا لم أكن أرى فائدة من الصلاة، وآخر لا يعرف فائدة للصوم، وهذا يرى الحج عبادة وثنية.

هل تدري ما هو الرابط بيننا؟ أننا جميعًا لم نتعلم العبادة، بل عرفناها وراثة، لم نفعلها بعد إيمان، وانتظرنا منها أن تجلب لنا الإيمان، مع أن العكس هو الصحيح، فأنت تؤمن أولًا، ثم تتعلم كيف تعيش كما أراد من تؤمن به.

فلا عجب أبدًا حين نتوارث العبادة أن يظن أحدهم أن ما يفعله المسلمون حول الكعبة لا يختلف عن عبادة الأصنام، بل ولا عجب أيضًا أن لا يشعر بشيء حين يرى الكعبة لأنه لم يعِ يومًا ما هو أمر هذا البيت.

فالمسلم الطبيعي يرتاح قلبه وتطمئن نفسه إذا دخل مسجدًا صغيرًا بجوار بيته في أقصى بقاع الأرض، المسلم الحقيقي يحب أن يجلس في المسجد الصغير كلما استطاع لما يجد فيه من سعادة وقرب من الله، يقف في الصف ملامسًا كتف أخيه المسلم وقدمه، يشد بعضهم بعضًا في طريق الله.

فما بالك إن ذهب أحدهم لأول بيت من بيوت الله وضع في الأرض، ووجد فيه إخوة له لبوا نداء الله من كل بقاع الأرض، لهذا يخفق عندها قلب المسلم الحقيقي بشدة ويشعر أنه يريد أن يقبل كل شيء في هذا المكان حبًّا له وإجلالًا.

فيأمره الله أن يطوف مع إخوته بدلًا من ذلك؛ حتى يدرك معنى السعي في سبيل الله، وحتى يفهم أن هذا السعي لن يؤتي ثماره إلا إذا كان مع السرب، فإن غرد بمفرده عكس التيار فلن يصل إلى شيء.

هنا تسير مع إخوتك سبعًا.. تلبسون نفس الزي.. تحملون نفس الهدف.. تدركون معنى الحركة وما أنتم قادرون عليه.

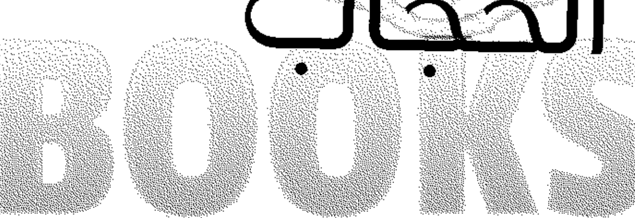
عبادة تربي بداخلك من المعاني ما لن تدركه في أي مكان آخر على وجه الأرض، هذا بالطبع إن ذهبت متعلمًا متواضعًا لله ولم تذهب متكبرًا متسائلًا عن الفائدة كحالي عندما كنت أسأل جاهلًا عن فائدة الصلاة.

أستطيع أن أسرد لك فوائد وحكمًا عديدة لكل عبادة نقوم بها، لكني لن أفعل ذلك، فأنا أريد أن ترى الأمور كما أراها فتدرك الحكمة بنفسك، لأني مهما أخبرتك الآن سيطرق الشيطان بابك من مجال آخر لم أخبرك به، ولا سبيل للنجاة منه إلا أن يكون هذا التفكير نابعًا من قلبك.

وهذا ما ستجده جليًا حين تتحدث مع أحدهم عن أهمية الحجاب مثلًا، فإن لم يكن التفكير الصائب نابع من قلبه فلن تتمكن مهما فعلت من إقناعه بأهمية أمر الحجاب، وستجده يذهب لافتراضات عجيبة حتى يثبت ما في قلبه، كأن يقول لك: ولماذا لا يتحجب الرجال؟ أليس هذا ظلمًا للمرأة؟.

الفصل
الخامس عشر

مكانة المرأة وأمر الحجاب





مكانة المرأة وأمر الحجاب

المرأة.. المرأة.. المرأة.. هي مصنع الرجال ومنبت الأبطال.. هن الأساس وتاج الرأس ومصلحات الأجيال، فماذا يحدث لنا إن تحولن لأنذال؟؟

لقد فقه العدو الأمر جيدًا

(إذا أردت هدم البناء فاضرب قواعده)

فإذا أردت هدم بيوت المسلمين وما بها من دين فاكسر المرأة أولًا، فهم بدونها لا شيء..

فبدلًا من أن تحدثهن عن التضحية والوفاء وعن علو الشأن وزرع الخير وقيم النبلاء



أحضر لهم أقذر نموذج لرجل لا يعرف دينًا ولا ملة ،وقل لهن هل رأيتن يا معشر النساء كيف تأكل حقوقكن وكيف أن الدين ظلمكن؟؟.

لا تخبرهم أبدا عن قول السيدة عائشة رضي الله عنها أن خير الخلق (صلى الله عليه وسلم) كان في مهنة أهله (أي في خدمتهم).

بل حدثهن عن عدم وجوب خدمة الزوج حتى يصبحن أشد فسادا من الرجال الفاسدين.

إياك أن تحدثهم عن دفاع النبي صلى الله عليه و سلم عن السيدة عائشة وإحتماؤها خلف ظهره حين أراد أن يضربها أبوها.

بل ذكرهن دائما بآية الضرب و النشوز في القرآن.. و كررها ومررها وفصلها وتحدث عنها مع كل حادثة مشينة دون أن تذكر كيفية الضرب المقصود ووقته.



انفث سمومك تلك في آذانهن حتى يصبحن متحفزات متربصات بأزواجهن حتى و إن كانوا رجالاً صالحين.

لا تحكي لهن عن الحب والود في الإسلام كاغتسال النبي مع زوجته في إناء واحد أو اصطحابها معه إلى طعام تحبه.

إياك أن تخبرهن عن إنحناء النبي لزوجته صفية واضعا ركبته لها لتركب على بعيرها.. ولا تذكر لهن رقية النبي لأهله عند مرضهم.

أو سباقه مع السيدة عائشة أو أنه كان يصحبها للسير والحديث ليلاً.

بل أنشئ مصطلحا جديداً يسمى اغتصاب الزوجة وتحدث عنه علانية كأنه حال كل البيوت حتى ينفرن من الزواج اصلاً.

حدثهن عن تعدد الزوجات كأنه هلاك كل بيت في زمن يصعب على الرجل فيه الزواج بواحدة أصلاً.

لكن لا بأس إن خوفتهن من كل شئ حتى وإن لم يحدث حتى وإن كان له حكمة فلا تذكُرها.

لا تذكر أبداً أن تعدد الزوجات هو من رحمة الله تعالى ببعض عباده وإحكامه لقواعد دين متكامل يشمل الجميع

فقواعد الدين دائماً ما كان المقصد منها مصالح المجتمع ككل أولاً ثم مصلحة الفرد.

فكما كتب الله القتال على الرجال لحماية الأنفس والأعراض وهو كرهٌ لهم.. كتب على النساء قبول أمر التعدد وهو شاق عليهن أيضًا

فلما كانت طبيعة الحياة وسنة الكون أن الرجال يموتون في الحروب بشكل أكبر من النساء ويموتون في الأعمال الشاقة والخطيرة بأعداد أكثر.

ولما كان الإنجاب من خصائص النساء فحباهم الله بمناعة أقوى من الرجل وقدرة تحمل للألم تفوق الرجل وهذا أيضًا ساهم في زيادة معدلات أعمار النساء عن الرجال.

كما أنه جينيًا فيعلم كل مختص أن نسبة الحمل بمولود أنثي تكون دائمًا أعلى من نسبة الحمل بمولود ذكر.

كل هذه العوامل أدت إلى أنه على مر العصور كانت أعداد الرجال أقل كسُنة كونية.

فلو أن كل رجل تزوج امرأة واحدة فسيصبح هناك عدداً هائلاً من النساء ممن لا يجدون رجالاً للزواج فماذا نفعل بهم؟

هل أخبرك ماذا نفعل بهم.. فبدلاً من أن نرضى بأمر الله وحكمته في عباده.. التي هي بالتأكيد لها أسباب كثيرة لا يعلمها إلا الله وليس هذا السبب الذي ذكرناه

فحسب، فتعالى نقلب موازين الكون ونُشّبه النساء بالرجال والرجال بالنساء في كل شئ حتى تتقارب الأعداد قدر الإمكان ثم لنستمع لرأي الشيطان إذ زين لأتباعه أن المولود الأنثى شؤم على البيت فوئدوهن.. هل تظن أنها عادة قديمة لا يفعلها أحد الآن؟؟

إذا دعني أُخبرك.. في القرن الماضي أعدمت الصين وحدها أكثر من مائة وستون مليون جنين أنثي في عمليات الإجهاض.

بعدما فرضت أن يكون لكل بيت طفل واحد فصار الاب والام يقتلون جنينهم الانثى في كل حمل حتى يأتيهم ذكر فيتركوه.

قتلوا في هذا العمل الشيطاني أكثر ممن ماتوا في الحرب العالمية الاولى والثانية مجتمعين. بل وبإمكانك إضافة أعداد من ماتوا في بعض الأوبئة العالمية إلى من ماتوا في الحروب العالمية ولن تصل أيضا لهذا الرقم المهول في مذبحة الصين للأجنة.

كل هذا ونحن نتكلم عن دولة واحدة فما بالك بباقي العالم.

فساد كبير و شر مستطير يفتك بقوانين الكون حتى إذا تساوت بعده أعداد الرجال والنساء يخرج عليك من يقول الحمد لله الآن تساوت الأعداد فلماذا التعدد إذا؟!

جهل وكبر وعناد يعصف بعقل المرأة فبدلا من أن تقوم الرجل الفاسد سيئ المعاملة مع أهله

جعلته رمزًا للرجال، حتى تنفر المرأة من كل الرجال.

وتبدأ بإنشاء خطوط دفاعها تجاه هذا الوهم الذي زرع في عقلها، فهذا الرجل ليس أفضل منها،

فلماذا يعمل وأنا لا أعمل؟

لماذا أنا أُربي وهو لا يُربي؟

لماذا أخْدِم وهو لا يَخْدِم؟

وكل هذا في الحقيقة صواب، لكن إن جمعته في شخص واحد صار نذلًا أنانيًا،

وبدلًا من أن تعالج هذا الرجل النذل غير مكتمل الرجولة، أضفت له امرأة أنانية غير مكتملة الأنوثة، وهدمت البيت باحتراف.

وصار إنشاء البيت قائمًا على المنافسة والندية وأكل الحقوق، عن طريق الاستخدام الخاطئ، سواء للشرع أو للقانون.

بدلًا من أن يكون قائمًا على المودة والرحمة والحب، وعلى التضحية والوفاء من الجانبين، وعلى خدمة بعضهم لبعض بكل حب ورضا كما أمرهم دينهم، هيا ننشئ صراعًا وهميًا بين الرجل والمرأة لا وجود له أصلًا.. يتحدث فيه الجهلاء والحمقى وأراذل المجتمع عن تجاربهم الفاشلة.. ثم نصنع من هذه التجربة الشاذة الفاشلة حالة للدراسة، ثم نستخرج لها قانونًا وقواعد نعممها على الجميع.

حتى وإن كانوا أبعد ما يكونوا عن ذلك النوع من المشاكل، ثم نعرض خلاصة هذه القواعد والقوانين المستخرجة بالأساس من التجارب الزوجية الشاذة والفاشلة على أنها الدليل العملي للنجاح في الحياة الزوجية، أو لحماية حقوق المرأة في المجتمع، ثم تأتي الكارثة الحقيقية، بأن نُرِيَ ذلك لفتياتنا وبناتنا ممن هم دون الثانية عشر والحادية عشر، أي جحيم هذا الذي سنقبل عليه.

إن هُدمت مصانع الرجال فمن أين سيأتي الرجال إذًا!

فلا عجب إذًا إن وجدنا جيلًا من الذكور لا يعرفون لله حقًا في البيت ولا في العمل.

ينطبق عليهم جميعًا هذا الوصف لكل ما هو شاذ وفاشل، إلا من رحم ربي.

فرسالتي لأختي وأمي وابنتي، لا تستمعي لمثل هؤلاء الضالين المضلين ممن نصبوا أعينهم على النيل منك، واعلمي أن كل ما في الدين ما هو إلا لرفعتك وحمايتك، وإن وجدتِ غير ذلك، فهو ممن شوهوا الدين تمامًا.
فمربط الفرس أصلًا في يديك.

إن لم تربي ولدًا ليصبح رجلًا يحمي أهله ويحملهم، وبنتًا تفهمه وتحتويه،
فأين وجدتِ ما هو أهم من ذلك؟

أنتِ الحقيقة الصفرية الثامنة
امرأة صالحة عالمة تعني مجتمعًا ناجحًا
ولا سبيل لهذا المجتمع الناجح إلا بك

فاحذري أن ينتقص أحدًا من دينك أو أن و تنطلي عليك ألاعيب شر الناس، على أساس أن في هذا حريتك وسعادتك واستقلالك.

دعك من هذه الألفاظ البراقة..
فقد رأيت المرأة عندهم في بلادهم ما هي إلا سلعة.. بل إن لبعض السلع عندهم قيمة عنها!

وهذا ما يريدون أن يأخذوك إليه تدريجيًا، كأن يبدأوا في خلع الحجاب عنك أولًا، فهو أول طريق السقوط.

ولأن مسألة الحجاب هي من أهم ما تحارب فيه المرأة المسلمة الآن، هيا بنا ننقاشها بموضوعية.
وقبل أن نتطرق للحجاب كأمر ديني، أريد أن أسألك سؤالًا:
هل تعتقدين أن الملابس في حد ذاتها أمر شخصي؟؟
بمعنى أن كل إنسان، سواء كان رجلًا أو امرأة، من حقه أن يرتدي ما يشاء من الثياب؟
أم أن الملابس أمر اجتماعي ينبغي أن يوافق عليه المجتمع؟؟

إن كنت تعتقدين أن الملابس أمر شخصي فهل تقبلين أن تذهب معلمة طفلك الذي في الصف الأول الابتدائي إلى المدرسة دون ملابس إن كانت تجد في ذلك راحتها؟

أو أن يذهب موظف البنك إلى عمله دون ملابس لأنه يجد في ذلك راحته؟

بالطبع لا.. لن يقبل عاقل بهذا إطلاقًا.. و إن قبل أحدهم بذلك فينبغي علينا علاجه بشكل نفسي أولا قبل أن نكمل معه الحديث.

وهذا ما ينقلنا للجزء الثاني من هذا السؤال؛ حيث تبين لنا أن الملابس أمر اجتماعي ينبغي أن يوافق عليه المجتمع.

ولهذا، فطبيعي أن تجد لكل منشأة زيًا رسميًا خاصًا لا يعترض عليه أحد، لأنهم يعرفون أن من حق هذه المنشأة أن تضع حدود الزي المناسب لطبيعة عملها.

وهنا ننتقل إلى السؤال الأهم.. إن كان لكل مكان حدوده المناسبة للملابس.. فبرأيك ما هي حدود الزي المناسبة للمرأة لتظهر بها أمام الرجال؟

في هذه اللحظة ستتفاوت الردود، فهذه ترى أنه لا بأس بإظهار شعرها، وهذه ترى أنه لا بأس بإظهار يدها، وتلك لا تجد خجلًا في إظهار ساقها، حتى نصل إلى تلك التي لا تمانع من إظهار كل جسدها.

ولكننا نريد الآن أن نضع حدًا لكل ذلك، فقد اتفقنا أن الزي أمر اجتماعي ينبغي أن يوافق عليه المجتمع. فبرأيك ما هي الشروط التي بإمكاننا أن نخبرها لكل هؤلاء بحيث ترضيهن جميعًا ويتوافقن عليها.

بالطبع لن نجد، فكل منهن تريد أن ترتدي ما تريد وقت ما تريد، لكننا ذكرنا أن هذا غير ممكن، عندما اتفقنا أنه أمر اجتماعي ينبغي أن يتوافق عليه المجتمع.

الآن علينا أن نلزمهن جميعًا بطبيعة معينة للملابس تكون معيارًا أستطيع أن أطلق على من ترتديه أن ملابسها محترمة، وأن من يسقط هذا المعيار فملابسها غير منضبطة.

وبالتأكيد لن نترك هذا المعيار للناس، فستجد من لا يرتدي شيئًا ويقول لك أن هذا هو قمة الاحترام والوقار في رأيه.

وهنا تتجلى عظمة الدين وحكمة الخالق بأن وضع لخلقه معيارًا لا يعتمد على أهوائهم وآرائهم موضحًا لهم حدود ما ترتديه المرأة أمام الرجال، وما ترتديه المرأة أمام النساء، وحدود ما يرتديه الرجل أمام النساء وما يرتديه الرجل أمام الرجال.

الله عظيم حكيم، يعرف أمراض القلوب ودوائها.. وضع في كتابه الكريم حدودًا لكل شيء حتى لا يترك الناس على جهلهم واختلافهم فيما بينهم، فبين آية الحجاب واضحة في قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور:٣١] حجاب وزي رسمي ارتضاه الخالق لإمائه فاطاعوه، مؤمنين أن فيه كل الخير، وفي تركه بلاء وشر.

غير أن بعض المتفلسفين الذين أعطوا الحق تمامًا لكل الهيئات والمؤسسات في فرض ما يرونه مناسبًا للملابس في أروقتهم، كالبنوك والمدارس والجامعات... يرون أنه ليس من حق ملك الأرض والسماء أن يُحدد ما يُسمح بارتدائه، وما لا يُسمح بارتدائه في أرضه!!

جهل وعبث بحت.. ثم يُتبعون أفكارهم الشيطانية قائلين إنه بالتأكيد لن يدخلنا النار بسبب قطعة قماش؟!

وأنا أقول إنه بالطبع لن يُدخل الله أحدًا النار بسبب قطعة قماش، لكن الله سيُدخل في النار كل من يُقلل من احترام أوامره أو يكسرها.

الله يُدخل النار مَن يرى أنه يفهم نظام الدنيا -أستغفر الله العظيم- أفضل من الله الذي خلقه وخلق الدنيا.

الله يُدخل النار مَن عندما يُنعم عليه نعمةً يستخدمها في شيءٍ يغضبه بها.

هذا مَا يُدخل اللهُ الناس به النارَ، سواء كان هذا بقطعة قماش أو حتى بأقل من قطعة قماش، كما قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا -أي لا يهتم بها-، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) [صحيح البخاري (٦٤٧٨)]،

مجرد كلمة قد تدخل صاحبها النار.. لم يقل أحدٌ وقتها: هل يُعقل أن يُدخل اللهُ أحدًا النارَ بسبب كلمة؟! إنها كلمة فحسب!

وعندما تخبرهم: أن الحجاب حفظ وحماية للمرأة، وهو بالتحديد كلام الله سبحانه وتعالى في هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الأحزاب: ٥٩].

فنحن لم نخترع كلامًا جديدًا!.

يقول لك: إنك تبرر التحرش والخطأ، وأن الحجاب ليس له فائدة.

وبدلًا من أن أرد على ذلك سأخبركم بشيء آخر، لأنه مهما جمعت لمثل هؤلاء من الأدلة فلن تتغير قناعتهم أبدًا.

فمن يرى أن ملابس المرأة والرجل لا ينبغي أن يكون لها قواعد أو حدودًا أصلًا، فهذا ليس بحاجة لبرهان ولا دليل على عكس ذلك.

بل نحن الذين بحاجة لفهم طبيعة تفكيره التي لا ترى فائدة للحجاب، وليس الأمر في الحجاب فقط، بل إن كل ما تحدثنا عنه من حقائق في هذا الكتاب لا تتوافق معه إطلاقًا،

فدعوني أختم لكم بقصة البنك والمقترض..

الفصل
السادس عشر

ما بعد الصفر

ما بعد الصفر

إذا كنا الآن نقف على أرض صلبة من الحقائق التي لا جدال فيها، وإن كان كل شيء يبدو منطقيًا بسيطًا سهلًا واضحًا لهذه الدرجة ففيم الاختلاف إذًا؟

لماذا كل هذا العناء لإقناع البعض بوجود الخالق؟ ولماذا كل هذا العناء لإقناعهم بالإسلام؟

سأخبرك..

هل تعرف طريقة عمل البنوك؟؟

تعتمد البنوك في ربحها بالأساس على خصلة خطيرة داخل الإنسان، وهي التسرع،

كما تقول الآية: {وَكَانَ الْإنسَانُ عَجُولً} [الإسراء:١١].

فهذا شيء في فطرته

يريد أن يمتلك هذه السيارة الآن.. لا يمتلك ثمنها، ولكن هذا لا يعنيه.. يريد أن يمتلكها الآن بمعنى الآن، وليس غدًا.

هنا يتدخل البنك ليلبي رغبته الملحة، ولكن بشرط، أن يتغير ثمن السيارة، وقد يتضاعف،

والعجيب أن هذا الشخص يوافق.

يريد أن يمتلك منزلًا، يريد أن يفتتح مشروعًا خاصًا.. يريد ذلك بشدة ولا يملك المال.. فيتدخل البنك ويقرضه..

الآن هل تظن أن البنوك تخسر وأن هذا الشخص رابح؟

دعني أخبرك بالمفاجأة.. فبحسب أغلب علماء الاقتصاد، فإن الشخص المقترض يستطيع أن يلبي احتياجاته بنفسه في غضون نصف المدة التي يسدد بها القرض، ودون أي زيادة،

يعني أن ما تدفعه للبنك على مدار أربع أعوام كنت ستتمكن من دفعه في خلال عامين فقط إذا حذفت الفائدة.

وإلا لم يكن البنك ليقرضك من الأساس!

بمعنى أن السيارة التي امتلكتها اليوم ودفعت فيها أكثر من قيمتها

كنت ستمتلكها في خلال عامين على الأكثر دون أن تدفع مليمًا زائدًا،

وكل ما كان عليك فعله هو أن تصبر قليلًا وتستمر في عملك كما هو وتدخر ما كنت ستدفعه للبنك

والمفاجأة الأخرى، والأمر الأهم، فهو إجماعهم على أنه في أغلب الأحيان لا يقترض المقترض مرة واحدة في حياته؛

بل إنه بعد اقتراضه للمرة الأولى يصبح هذا الأمر أسلوبًا في حياته لا ينفك عنه.. فهو دائمًا ما يعيش في مستوى أعلى من حدود إمكانياته إلى أن يصير إلا أمرين،

الأول: أن تغرقه الديون، وهذا مثال شائع في كل دول العالم، خصوصًا المتقدمة التي توفر تسهيلات خيالية في مسألة الاقتراض.

والآخر: أن يعيش باقي عمره لتسديد ديونه، ثم يموت فقيرًا، قد بليت ممتلكاته وأصبحت لا تساوي شيئًا مقارنة بما سدده من أضعاف أضعاف ما تستحقه.

أعرف أنك الآن تتساءل: ما علاقة هذا بموضوعنا؟؟

فدعني أجيبك..

في الدنيا نوعين من الناس: أولهما مقترض، يأخذه الموت على غفلة.. والآخر كالبنك، يربح في النهاية.

ونحن في حالنا بين هذا وذاك.. وما صحبتنا في الكتاب إلا كقصة قصيرة.. حتى وإن أدركنا بها بعض البصيرة، لكننا الآن سنفترق..

فإليك نصيحتي الأخيرة قبل أن أقولها لك لا أخفيك سرًا..

فأكره ما أكره في حياتي لحظات الوداع ومواقف النهاية.. ولهذا فليس المهم ما قضيناه سويًا من وقت في صفحات الكتاب؛ بل المهم هو ما ستكون نهايتنا عليه، فهو حال الدنيا، فلكل بداية نهاية..

وهذا درس وحقيقة صفرية هي التاسعة : النهاية هي الأهم

فلو أننا اقترضنا من الدنيا كل يوم متعة.. على أن نسدد ثمنها لاحقًا.. فحالنا كحال هذا المقترض الذي يظن أن اللحظة الحالية هي الأهم رغم علمه يقينا أنها ستنقضي، حتى إذا أخذ متعته بقي ندمه بعد ذلك سنين. يكفيك من الدنيا أن تعرف أن كل لحظاتها زائلة، وكل متعها منقطعة راحلة.. فهل من العقل أن نأخذ المنقطع الزائل وندفعه في المستمر المتصل؟؟

أيًا كان ما سنفعله، أيًا كان ما سنمتلكه.. علمنا بأنه لحظي زائل يكفينا لكي لا نتعلق به.. فكيف نستبدله بأعمارنا الحقيقية؟!

أنقترض ذنبًا ندفعه في الآخرة سنين؟

رغم أن بعض الصبر يجعلك تمتلكه تمامًا بعد ذلك.

دعنا ننظر للدنيا كالبنك وليس كالمقترض..

البنك مشروع عملاق يهمه أن يربح أخيرًا وليس أن يربح لحظيًا.
يترك أمواله للناس وكأنها لا قيمة لها عنده.

ثم ينتظر سنين وسنين حتى يحقق أرباحًا خيالية، فهو يعلم يقينًا أن الربح الحقيقي يتمثل في المبلغ الذي سيمسكه بيديه في النهاية.
فهذا المقترض أمسك بيديه الهواء في النهاية.. أما البنك فقد أمسك ماله الذي أنفقه في البداية مضافًا إليه عمر المقترض في عمله.

وهذا ما نريد أن نكون عليه.. ننظر لمغريات الدنيا كما ينظر لها البنك وهو يلقي أمواله،
لا نسعى لها أبدًا؛ بل نسعى لأن تكون نهايتنا نهاية مثالية.. نسعى لأن تكون لحظة لقائنا بخالقنا هي أسعد لحظات حياتنا.

فإن سعينا حقًا لهذا.. فأعدك أن تأتيك الدنيا تحت قدميك.. وحينها ستدرك حقارتها وسهولتها، وستأخذ منها ما يكفيك، وستترك منها ما يزيد عن حاجتك.. تمسكه بيدك وتلقيه لغيرك،

فلم تدخل الدنيا يومًا قلبك.. إن خسرت كل ما فيها فلا بأس، وإن ربحت كل ما فيها لن تفرح بذلك.

تدرك جيدًا أن كل ما فيها هو طريقة مختلفة للاختبار.

فلو أن أحدهم تنعم في حياته ما تنعم ثم مات ملعونًا مصيره النار، فما قيمة هذا النعيم الحقيقية؟

ولو أن الآخر تكبد من العناء ما لا يطيقه بشر ثم كان مصيره إلى جنة عرضها السماوات والأرض

فما أهون ذلك العناء؟

وفي طريقنا هذا سنصطدم بشدة بالنوع المقترض، ولهذا اقتتل الناس وعلى ذلك اختلفوا،

فمهما كانت الحقيقة واضحة كالشمس إلا أن هذا المقترض المتسرع الذي جعل الدنيا قمة طموحه.. حتى

أصبح لا يرى ما هو أبعد من ذلك.

كل ما يعنيه هو اللحظة الحالية فقط.. فإنك إن تحاورت معه ستتفاجأ عندما تكتشف أنه لم يعد هناك وجود لمنطقك

ولا لحقائقك ولا لمسلماتك..

هناك ستجد تفكيرًا مختلفًا تمامًا يختفي فيه المنطق بالنسبة لك،فهو يرى مثلًا أن الحروب والمجاعات أكبر دليل على عدم وجود الله،

لأنه لو كان موجودًا لما ترك أحدهم ليظلم الآخر،

حتى وإن أخبرته بكل ما سردناه في أول الكتاب.. أن الحروب والظلم ما هي إلا اكتمال لحرية الإنسان في اختياراته فلن يقتنع ولن يرى ذلك أبدًا.. فهو مفترض يؤمن باللحظة الحالية فقط.

فإن كانت سعيدة اعتد بنفسه وذكائه،

وإن كانت حزينة سخط.

حتى وإن كنت أعلم أهل الأرض فلن تستطيع أن تنزع عنه تلك الغشاوة،

سبحان الله، وإلا كان سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- أولى وأجدر أن يقنع كفار مكة بالإسلام..

فالأمر الآن أبعد ما يكون عن المنطق والحوار والإقناع،

وهذا تحديدًا ما ستجده نصًا في المصحف.. اقرأ هذه الآية ولا تتعجب: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ١٢٤-١٢٥]

نفس الآية.. و نفس الحكمة ستكون بالنسبة لنا دليلًا أكبر وزيادة في الإيمان.

وبالنسبة له كفر أكثر وضلال أكبر.

هنا انتهى المنطق.. لا معنى لكل ما جاء في هذا الكتاب..

كل منّا يرى الأمر من زاوية مختلفة تمامًا،
زاوية المقترض وزاوية البنك..

وكل منّا زين له عقله زاويته.. ولم يختر فينا أحد عقله، لكننا اخترنا شيئًا آخر، وهو سر الموضوع، وبه تعرف لماذا الخلاف قائم إلى يوم الدين.

لما انتهى المنطق حكم القلب..
حتى الآية السابقة تقول: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}.
هناك أمر آخر غالبًا ما نغفل عنه، وهو سبب هذا الخلاف، وهو ما سيحاسبنا الله عليه بالأساس،
رغم أن كل واحد فينا استخدم عقله فوصل لنتائج مختلفة.

بل إن النتائج المختلفة -التي منها ما وصلنا إليه في هذا الكتاب مثلًا- هي أصلا بداية الحساب من المولى عز وجل.

والآية في سورة الليل تشرح هذه الجزئية الحساسة بتفصيل دقيق جدًا، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦)} [الليل: ٥-٦]

نتحدث عن شخص أولًا أعطى.. يعني قلبه يحب الخير لغيره، وليس فقط لنفسه..

واتقى: يعني أن قلبه كان دائم الحذر مخافة أن يقع في الخطأ، فهو يعلم جيدًا إمكانية حدوث ذلك في أي لحظة، سواء بقصد أو دون..

كما نصت تمامًا حقيقتنا الثانية، فهو حريص أن يتأكد من صحة أفعاله دائمًا.



لا يعتد بنفسه وعقله، ولا يظن أنه خبير بكل الأمور، عالم بكل شيء، لا يحتاج لأحد.

ثم صدق بالحسنى: أي أن قلبه مؤمن بوجود معنى الخير.

وهو تمامًا ما بنيناه في الحقيقة الرابعة، لمّا ذكرنا أن للوجود هدف وحكمة عظيمة،

والخير فيه أساس وليس العبث، وإيمانه بذلك يجعله يحب أن يرى الخير غالب على الشر، وأن لا يرى العبث والفساد هم الأقوى، ونتيجة لذلك:

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)} [الليل: ٧]

يسخر الله له كل الأسباب العقلية والمنطقية لقبول الإيمان، ويرسل له من يحببه في الخير، يقع في طريقه نموذج صالح للمتدين الملتزم الناجح..

يأخذ بيده..

ويرشده ويصرفه عن مواطن الفتن.

أما **الثاني:** وهو ما دائمًا أشبهه بالمقترض، فيصفه الله: {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ } [الليل: ٨]

بخل، فهو أناني.. نفسه ومتعته اللحظية هي كل ما يهمه، حتى وإن أظهر غير ذلك.. لا ينظر لمجتمع، ولا لبيت ولا لأسرة..

فقد استغنى بنفسه عن غيره، ولا يرى أنه يحتاج لنصح أصلًا أو توجيه،

يعتقد أنه مدرك لكل شيء.. لا يقبل في حياته إلا من كان مقترضًا مثله.. يدور معه في دوامته.

ثم بعد ذلك، {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ} [الليل: ٩]، فمن يدور في دوامته ليس شرطًا إن كانوا على خير أبدًا؛ بل هم من وافقوه في اختراع معيار للخير يتناسب مع فسادهم.

الصواب والخطأ هذا لا يعني لهم شيئًا، واستبدلوه بمبدأ: أنت حر ما لم تضر.

وتضر هذه كلمة واسعة وعملية نسبية، يمكننا التلاعب بها حتى الصباح.

فإن أهلكت نفسك أو أهلكت غيرك فهذا من حريتك وحريته إن وافقك على ذلك، وبهذا أنت لم تضر أحدًا، وليذهب المجتمع والجنس البشري إلى الجحيم.. المهم بالنسبة له سعادته وقرضه العاجل..

وبالطبع نتيجة ذلك: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ١٠]، يسلط الله عليه عقله، فيرى عكس ما يراه المؤمن تمامًا في كل شيء،وباقتناع تام.

وتقترب منه كل الأسباب التي تبعده عن خالقه وتقضي عليه تمامًا، وتفتح له أبواب الشر تلقائيًا دون أدنى مجهود.

يصاحب هذا الذي ما إن يراه إلا ويسأله عن نوع المعاصي الذي يفضله اليوم.

هيا بنا لنرافق النساء

أم تظن أن الأفضل أن نشرب حتى الصباح؟

وما رأيك بالاثنين معًا؟

ثم يقع في طريقه شيوخ المصلحة والتجارة بكلام الله ورسوله، فيبعدوه عن الدين الحقيقي أكثر وأكثر.

فتجده يقول لك إنه لم ير في حياته شخص واحد متدين، وفي نفس الوقت محترم.

سبحان الله كل من قابلتهم من المتدينين كانوا فاسدين؟ كلهم كلهم!! لم تجد فيهم حتى شخصًا واحدًا فقط جيد؟ فيحلف ويخبرك والله جميعهم ليس فيهم شخصًا جيدًا.

وهو يتحدث فعلًا من قرارة نفسه ومن واقع ما رآه بأم عينه.

- فتعرف أن الآية تتحقق فيه بالحرف

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ} [الليل: ١٠]

فلو كان كل أهل الأرض صالحين فلن يراهم، بل سيصعد على قمة جبل بمفرده ويتعجب ويقول: أين ذهب الناس؟

كيف ماتوا جميعًا؟

فهذا لا ينفعه كتاب، ولا أعرف له عتاب، بل اكتملت عليه الحجة بمن عاش عمره لا يعرف عن الإسلام ولا عن سيدنا محمد كلمة، وإذا به حين يسمع القرآن لأول مرة في حياته يبكي.

ويسأل: ما هذا؟؟ ويتعلق به، ويبدأ في تعلم الدين، ويسلم في غضون شهور قليلة من سماعه للقرآن أول مرة.

- حتى يجعلك تتعجب عندما تراه..

كيف أصبح هذا ممكنًا؟ هذا الذي لم يكن يعرف عن الإسلام شيئًا قبل بضعة أشهر.. بل إن كل ما سمعه طوال حياته عن الإسلام أنه دين قتل وإرهاب.

وإذ به يقتنع الآن، وبكل سهولة، ويرى الحقيقة كاملة.
وعلى النقيض تمامًا، هذا الآخر الذي ولد في بيت مسلم أصلًا وفي بلد مسلم.. ثم لا يكفيه حوار سنين لإقناعه بوجود خالق خلقه من الأساس.
مدعيًا أنه صاحب فضيلة وأنه متزن ناجح سعيد في حياته، وكل ما يختلف عنا فيه فقط أنه لا يؤمن بإله.

هل أخبرك بطريقة مجربة تعرف بها لماذا لا يكفيه حوار سنين ليرى ما هو واضح كالشمس؟
ولماذا لا يؤمن بإله؟.

كل ما عليك فعله لتعرف مكنون سرائره أن تتظاهر بأنك مقترض مثله تمامًا.. فكما ذكرت لك سابقًا أنه لا يقبل في حياته إلا من كان مقترضًا مثله..
يدور معه في دوامته.

فتظاهر بأنك تحب ما يحبه، وتعتقد ما يعتقده، حتى إذا صرت مقربًا منه

قم بسؤاله عن أكثر الأفعال التي قد تخطر على بالك مجونًا وخطئًا،وهل علينا أن نقوِّم وننصح من يفعلها حتى يتركها أم نتركه لحريته؟

ثم استمتع بما ستراه من عرض لأفكار مشينة من تأييد لكل ما هو فاجر وإباحي وشاذ تحت مسمى الحرية.

ولهذا، فدائمًا ما تكون مشكلته مع وجود الخالق، فهو مقترض شره، والخالق هو من سيحاسبه على تلك القروض، ولهذا لن يقتنع به أبدًا.

- ورغم ذلك، فإننا لا نقطع الأمل من الله أبدًا في هدايته؛ بل نستمر في الإحسان إليه ودعوته للخير بالحكمة والموعظة الحسنة.

ونريه من أنفسنا نموذجًا عمليًا للمسلم الجيد،
وندعوا الله أن يثبتنا ويهديه حتى آخر نفس في حياتنا.

فلا أنسى أبدًا الحقيقة الثانية كما أخطأت مرة واستحقرت صديقي الذي كان ل يؤخر صلاته، فأصابني ما به.

فلا أقول أبدًا كيف لا يؤمن هذا الشخص وكل شيء واضح أمامه.. ألا يوجد لديه عقل؟؟

بل أقول كم قال أهل الجنة في سورة الأعراف الآية ٤٣:
{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}

وأدعو بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم: (يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك) [أخرجه الترمذي (٢١٤٠)].

بل وأزيدك شيئًا، فإني دائمًا ما أظن أنه قد يكون أفضل مني عند الله، في المآل وليس في الحال فأنا لم أر نهايته بعد.. فقد يتوب الله عليه توبة تعجب لها الخلائق.

ولم أر نهايتي أيضًا بعد، فقد أنقلب على عقبي بذنب أو بخطأ، فتصير نهايتي على غير ما كانت حياتي.
والحقيقة التاسعة تقول: النهاية هي الأهم.

ولهذا فعليك حين تنطلق في طريق ما بعد الصفر أن تنطلق بحذر شديد.

و أن تبدأ بتعلم هذا الدين، ولتكن بدايتك بعلوم القرآن، كأن تلتحق بحلقة لتحفيظ القرآن الكريم ودراسته، يكون شيخها حليمًا عالمًا يشرح الآيات وأسباب نزولها، ويبين أحكامها ومقاصدها، يعينك على تعهد القرآن ودراسته.

فإن طابت نفسك وأصبحت هذه الحلقة هي إحدى عاداتك الحياتية التي تتشوق إليها.

فابدأ بحضور حلقة لدراسة العلوم الشرعية.

فحقائقنا الصفرية ما هي إلا محصلة لإيماننا الفطري بالحق والعدل، لكنها لا تكفي أبدًا لمواجهة فتن هذا الزمان.

لكن دراسة العلم الشرعي الأصيل في مكان قريب من بيتك أو عن طريق دورة على الإنترنت، بعد أن تتأكد أنهم أهل علم ودين وثقة، كأن يكونوا تابعين للأزهر الشريف مثلًا.

هو ما يوصلك لبر الأمان،

ويكون لك حصنًا أقوى وأنفع بكثير.

وهذا لا يعني بالطبع أنك لن تخطئ ثانية؛ بل إن الخطأ

وارد في أي لحظة، وهو جزء مما نؤمن به.

وكل ما سيضيفه لك العلم الشرعي والإيمان الفطري أن تعرف يقينًا أن هذا خطأ،
فإدراكك هذا يعني أنك ستحاول إصلاحه، وأنك نادم على فعله، عازم على عدم العودة إليه، وهذا هو ما يحب أن يراه الله منك، فهذه توبتك، والله يحب التوابين،
حتى وإن كنت في حيرة من أمرك، فهذا العلم يثبتك حى تهتدي للصواب.

وتذكر دائمًا.. إياك أن تفضح نفسك أمام أحدهم مهما بلغت حيرتك، ومهما بلغت حكمته.
حتى وإن فاض بك، فقل لو أن فلانًا فعلًا كذا وكذا ولا تقل فعلت كذا وكذا.
فحكيم زماننا بشر، منهم من بحكمته اغتر
فتحدث بأسرار من سمع ونشر،
مفتخرًا أنه ادري بكل خبر،
وأن بين يديه قصص الخير والشر.

فهذه حقيقة صفرية، هي العاشرة والأخيرة: «
أن لا تفضح نفسك ولا تجهر بمعصيتك وضعفك إلا لله »

أما دون علم شرعي وحقائق صفرية فستسلك مسلكًا آخر حين تخطئ.
يبدأ بالتبرير، ثم بحب الخطأ والتقصير، وينتهي بالكفر وبالشرك الكبير.
فترى نجاح غير المسلم وحيازته للدنيا رغم أخطائه مغريًا لك.
مزلزلًا لمعنى الطاعة والصواب في عينك.

فهذا لم يسجد لله سجدة وعلى ما يبدو فهو في غاية السعادة وقد حيزت له الدنيا بحذافيرها.

وترى المسلم فتظن أن أي تقصير في دينه يصبح سببًا في غضب الله عليه وفشله في أمر دنياه أيضًا.

وحقيقة الأمر على غير ذلك تمامًا..

فلا عجب إن رأيت غير المسلم قد حقق أي شيء من منافع الدنيا، فهي قمة مبتغاه وأمله، لا يعنيه رضا خالقه ووجوده، ولا يحزنه غضبه عليه،
فيصل إلى ما يصل إليه بأي طريق، غير آبه لتبعات أفعاله.

أما المسلم الحق، فأول ما يبغيه من حياته هو رضا خالقه، فلا عجب إن تعطل شيء آخر من منافع الدنيا إذا قصر في حق خالقه،
فهو لا يركض تجاه الدنيا أولًا؛ بل يركض تجاه خالقه أولًا، وهذا ما يهمه أن لا يتعطل.

فإن قصر في صلاته مثلا تراه مغتم الحال غير صافي الذهن في عمله.

ولكن تذكر أن هذا للمسلم الحق فقط.



فباقي الناس محكومون بقانون الأسباب، فإن اجتهد الفاجر نال من الدنيا بقدر اجتهاده، وإن تكاسل مدعي الإسلام خسر من الدنيا بقدر كسله.

ثم يقول لك ها أنا أخسر بسبب الدين، وغيري ينجح وهو بعيد عن الدين.

وأقول له: والله لقد كذبت، فخسارتك بسبب كسلك وجلهك،
ونجاح غيرك بسبب اجتهاده وتفوقه عليك.

أما المسلم الحق فلا يقول مثل هذا أبدًا؛ بل يعرف أن الله يربيه ويهذبه إن قُدِر عليه شيء من أمر الدنيا،
ولا يظن بربه إلا خيرًا؛ بل ويخشى أن يفتح عليه في رزقه حال تقصيره، فيكون بذلك استدراجه وسقوطه وسببًا في غفلته.

ويصدق أن كل ما يراه من نجاح ظاهر لغير المسلم لا يعني إطلاقا سعادته في دنياه.

بل يصدق يقينًا قوله تعالى:{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ} [طه: ١٢٤]

هذه الآية التي توقفت عندها كثيرًا، فقد كنت أرى مظاهر السعادة طاغية مكتملة عند كثير ممن حارب الله ورسوله.

حتى تبين لي أن كل هذا ما هو إلا إظهار لغير الحقيقة، وأنهم في بحث دائم عما ينقصهم.
محترقون من الداخل..
تأكدت من ذلك عندما علمت بذهاب أغنى لاعب كرة قدم في العالم مثلًا لطبيب نفسي.
رغم أن ما كنت أراه ظاهرًا منه أنه أسعد إنسان على وجه الأرض.

إيمانك الحقيقي بكلام الله، كما جاء في الحقيقة الصفرية الثالثة، هو ما يجعلك ترى هذا.

وهو ما يجلعك تصدق الآية، حتى وإن رأت عيناك غير ذلك.

حقائق صفرية إن اكتمل إيمانك بها تكون قد وصلت لنقطة الصفروسأقول لك الآن ما هو الصفر..

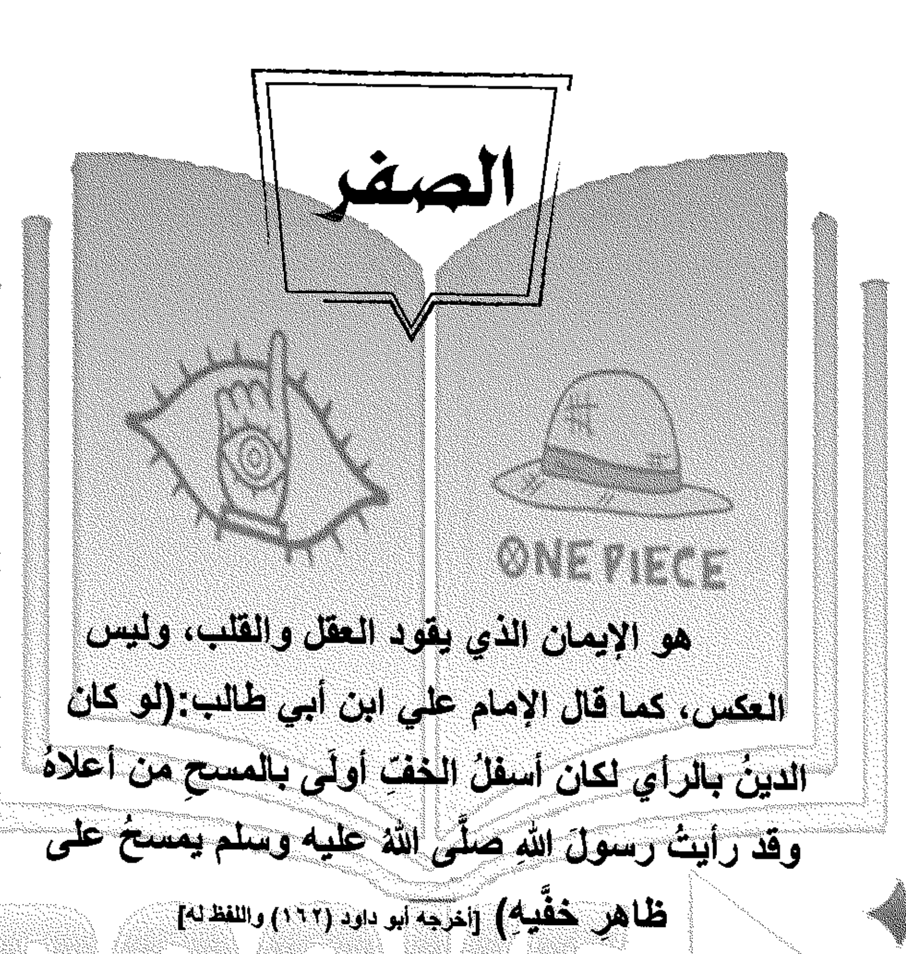
الصفر

هو الحد الأدنى من العلوم والمعارف التي ينبغي أن يمتلكها أي إنسان طبيعي عاقل،

وكل ما تحت الصفر هو كارثة حقيقية.

ولن تستطيع أن تسير خطوة واحد في الاتجاه الصحيح دون تلك الحقائق الصفرية.

الصفر



هو الإيمان الذي يقود العقل والقلب، وليس العكس، كما قال الإمام علي ابن أبي طالب:(لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولَى بالمسحِ من أعلاهُ وقد رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم يمسحُ على ظاهِرِ خفَّيهِ) [أخرجه أبو داود (١٦٢) واللفظ له]

كان سيدنا علي رضي الله عنه متبعًا لحبيبه محمد حتى وإن خالف ذلك عقله ورأيه.

فهو مؤمن إيمان كامل.. مصدق لكل ما جاء به النبي، مستسلمًا لأوامره.. حتى وإن لم يعرف الحكمة منه بعد

ففطرته السوية تدفعه لقبول كل ما جاء به المشرع لكونه أعلم وأحكم.

وليس معنى هذا القول أن الدين ينافي العقل في بعض الأشياء كما ادعى الكثيرون.

فلم يكن هذا المقصود إطلاقًا؛ بل كان المقصود إن أمر الدين صواب حتى وإن لم يدركه عقلك.

وهذا ما كان يؤمن به سيدنا علي -رضي الله عنه- وسائر صحابة رسول الله منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

قبل أن نعرف في قرننا هذا أن المسح أسفل الخف قد يسبب انتقال الكثير من الأمراض التي في أسفل الخف من الأرض إلى اليد، ومنها إلى الفم.

وأن المسح أسفل الخف قد ينجس مكان الصلاة، لما سيحمله الخف المبلل بعد ذلك من الأرض إلى مكان الصلاة.

لم يكونوا حينها يدركون ذلك، لكنهم آمنوا بما جاءهم، حتى وإن خالف رأيهم أو ما يظنونه صوابًا.

وهذا هو تمام الإيمان.. فالإيمان كما جاء في الحديث: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [رواه مسلم (١/٢٩)]

وهذا بالنص ما قصه هذا الكتاب وما حوته فصوله وحقائقه بنفس الترتيب.

وهذا ما حاولت فعله..

أن أجمع لك ما آمن به الأولون الصالحون وامتلأت به قلوبهم.

فدانت لهم الأرض من مشرقها لمغربها، وملؤوها عدلًا وسلامًا وعلوًا وازدهارًا..

فإن ترسخ بداخلك ما ترسخ بداخلهم، فوالله الذي لا إله إلا هو لا يضيرك شيء بعد ذلك.

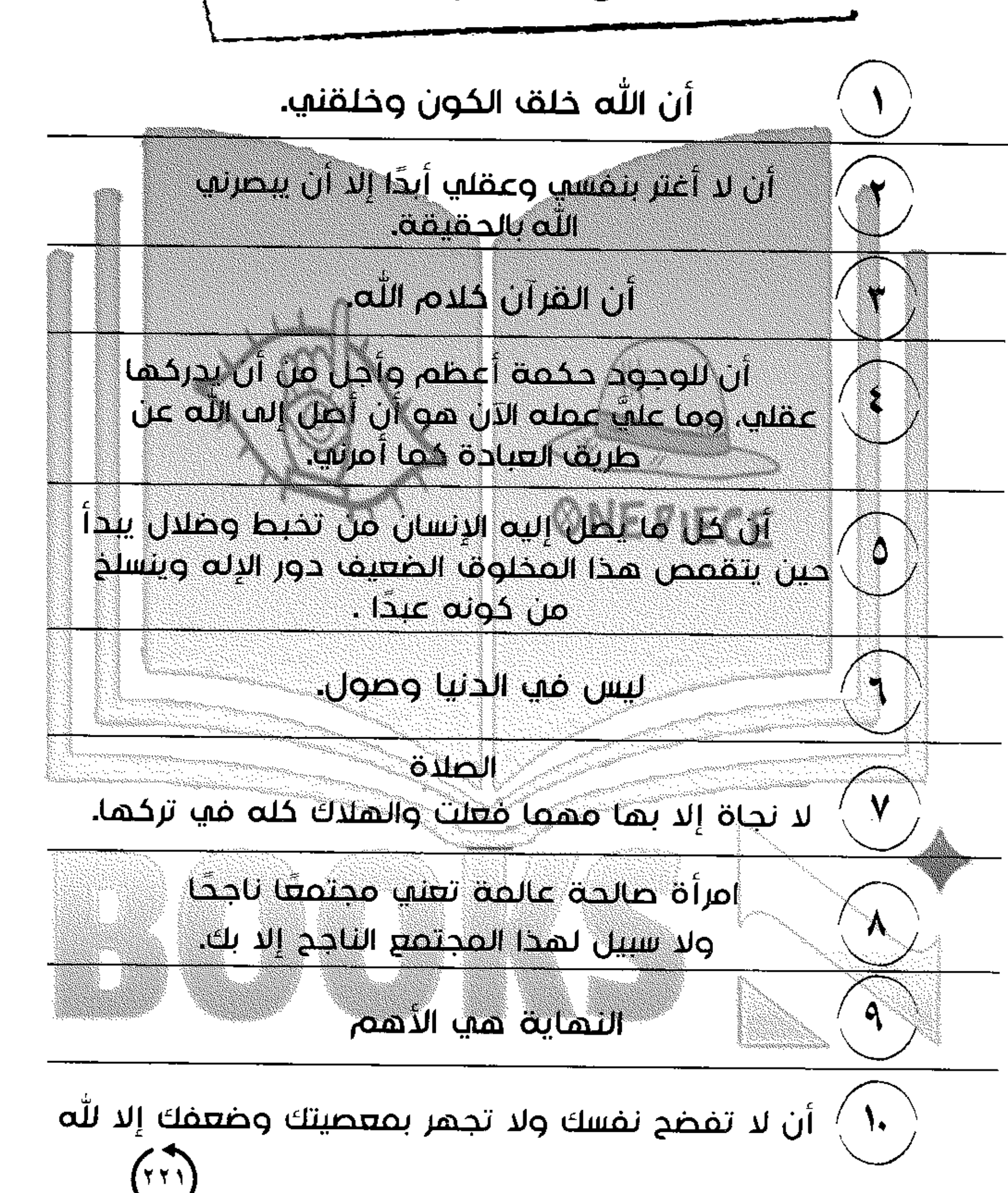
وتذكر أن كل ما جاء في هذا الكتاب يعني فقط أنك وصلت للصفر، وعليك الآن أن تبدأ

من الصفر

تم بحمد الله



الحقائق الصفرية العشر



١ - أن الله خلق الكون وخلقني.

٢ - أن لا أغتر بنفسي وعقلي أبدًا إلا أن يبصرني الله بالحقيقة.

٣ - أن القرآن كلام الله.

٤ - أن للوجود حكمة أعظم وأجل من أن يدركها عقلي، وما عليَّ عمله الآن هو أن أصل إلى الله عن طريق العبادة كما أمرني.

٥ - أن كل ما يصل إليه الإنسان من تخبط وضلال يبدأ حين يتقمص هذا المخلوق الضعيف دور الإله وينسلخ من كونه عبدًا .

٦ - ليس في الدنيا وصول.

٧ - الصلاة
لا نجاة إلا بها مهما فعلت والهلاك كله في تركها.

٨ - امرأة صالحة عالمة تعني مجتمعًا ناجحًا
ولا سبيل لهذا المجتمع الناجح إلا بك.

٩ - النهاية هي الأهم

١٠ - أن لا تفضح نفسك ولا تجهر بمعصيتك وضعفك إلا لله